الله

من كلام العارفين

العدد السابع - ذو القعدة 1434هـ

مُقَدِّمَة

بإذن من سيدي الحاج الحبيب بن حامد ﵁ قام بعض تلاميذه بكتابة هذا التأليف استنادا لما تم تسجيله وجمعه ونقله من العامية إلى الفصحى من دروسه التربوية وكلماته ورسائله العرفانية والله من وراء القصد.

كل الحقوق محفوظة

الزاوية التجانية باب الخضراء © ذو القعدة 1434هـ الموافق لسبتمبر 2013م

تمهيد

بسم الله والحمد لله والصّلاة على رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: " **لاَ بَأْسَ بِالحَدِيثِ قَدَّمْتَ فِيهِ أَوْ أخَّرْتَ، إِذَا أَصَبْتَ مَعْنَاهُ**"

الجامع الصغير رقم 9706

قال سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه: "...وأرغب لمن طالع مكتوبنا هذا أن يغضّ عنه عين الانتقاد ويسمح لنا ما يلقاه من التّصحيف والتّحريف والزّيادة والتّطفيف ويصلح ما وجد فيه من الخلل ويقابل جهلنا بالصّفح والإغضاء وحسن العمل فإنّا لسنا من أهل العلم ودرايته ولا من أهل النّحو وصناعته وإنّما حملنا على ذلك شدّة حبّنا في أهل هذا الجناب وتعلّقنا بهؤلاء الأحباب ومن أقام لنفسه عذرا سقط عنه اللّوم" ...

من مقدمة كتاب

جواهر المعاني وبلوغ الأماني

في فيض سيدي أبي العباس التجاني

نسخة من خط سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وفيها الإجازة الأولى التي بعث بها لسيدي محمد القماري رضي الله عن الجميع

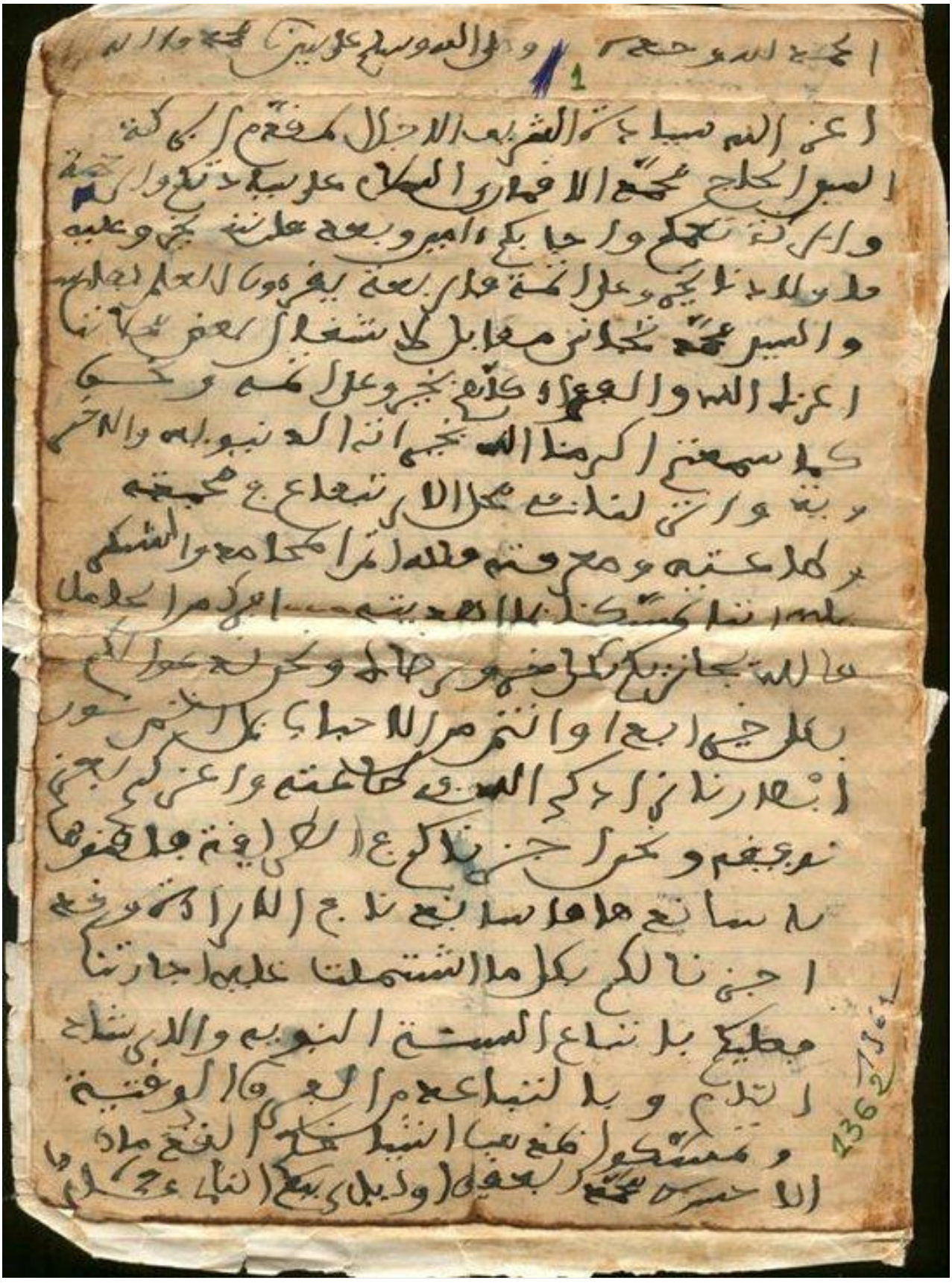

الإجازة رقم 1

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله في تاريخ خامس صفر عـام 1352

الحمد لله وحده أعز الله سيادة الأعز الأبرك المقدم الأب السيد الحاج محمد بن ابراهيم الأقماري السلام عليكم والرحمه والبركه وبعد فالله الكريم يفيض عليكم خير الدنيا والآخرة ويوصلكم إلى منتهى العارفين وذروة المقربين أمين يليه أن حالنا على أتم الأحوال فالله تعالى يرتضيها فلله الحمد والمنه أعظم الله علينا نعمه ظاهرة وباطنه وأعظمها الشكر والسيد محمد الكبير يقرأ العلم مفتوح له فيه والسيد محمد الكبير جامع للقرآن والبنون والبنات حافظون للقرآن الكريم ونساؤنا بخير كأحبابنا وأنت واحد من أولادنا فقر به عينا و لا تظن غيره وقد وصلنا

أخونا علي رسولك بمائه ريال وعنبر وتسابيح هديه لنا ولولدنا فهي مقبوله بغايه ربانيه مصحوبه بعز معها والمطبعه بخير وأحوالنا كلها كما تحبها ونحن ندعوا لكم بخير والسيد عبد الله أخوكم بخير عند البروزي له أولاد والسيد محمد نسمع عليه خيرا وأحوال البلد بخير في أمان ورفاهيه دينا ودنيا لا تنشوش وقد اشتقنا لرؤيتكم فبأحبابكم هنا كلها بخير والسيد محمد الحبيبه ابن شيخنا برباط الفتح في مدرسه جسوس خادما معه والسيد محمد بن المولى علال نازل عندنا حالته بخير ولازالته الخيرات تنصب علينا كالأمطار فلله الحمد علما وطريقة و حقيقة فأخبركم على عادة الأحباب فأنتم أولاد الروح وقد أجزنا لكم في مروياتنا في الطريقه وغيره فالله يحفظكم أمين

الحاج الأحسن بن محمد ابن أبي جماعه البعقيلي السوسي .

البيضاوي بدرب خلف الدار البيضاء

نسخة من خط سيدي الحاج محمد القماري رضي الله عنه

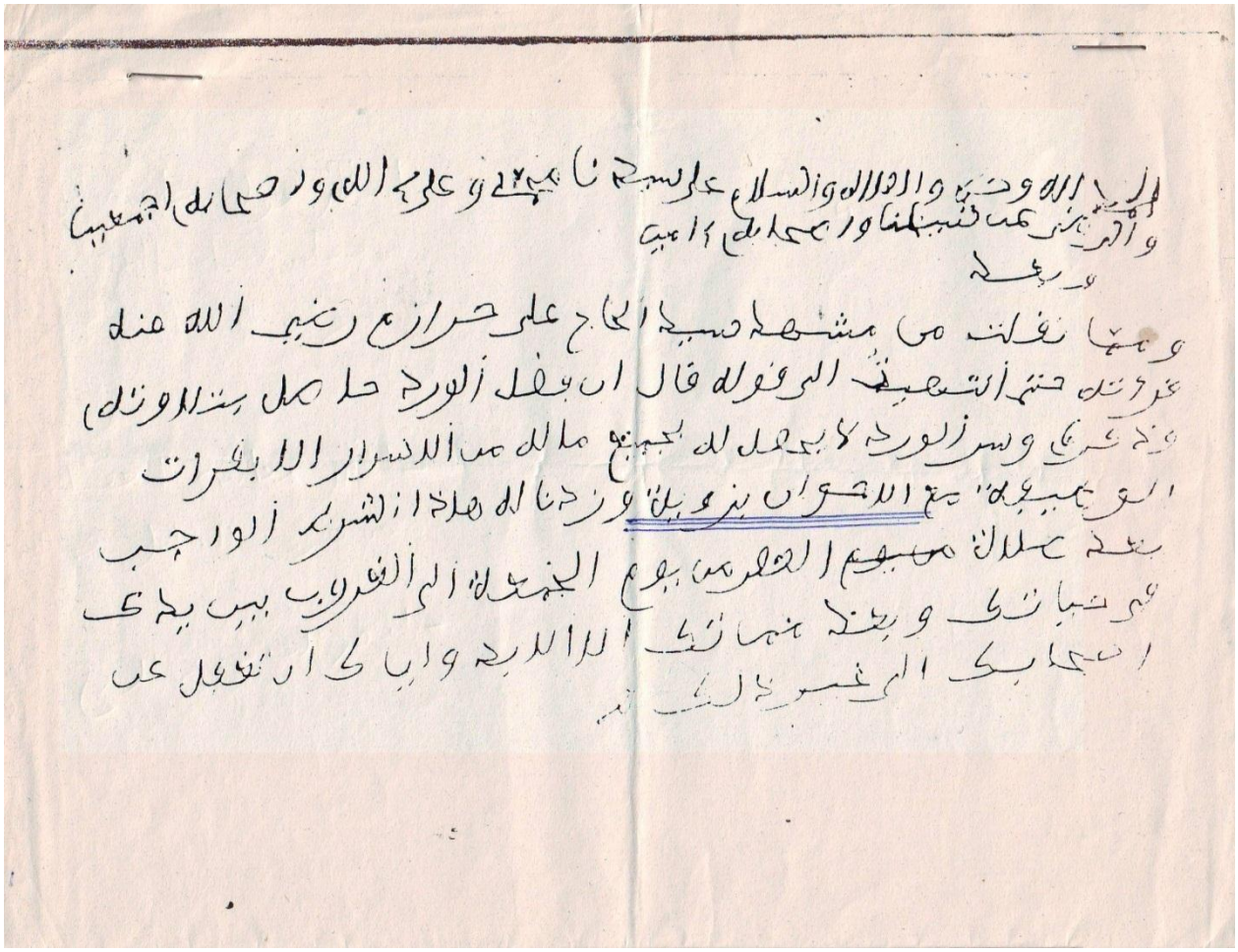

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والرضى عن شيخنا والصحابة أجمعين

وبعد، وممّا نقلت من مشاهد سيدي الحاج علي حرازم ﷺ قرأته حتى انتهيت إلى قوله قال إن فضل الورد حاصل بتلاوته وذكره وسر الورد لا يحصل له بجميع ما له من الأسرار إلا بقراءة الوظيفة مع الإخوان بالزاوية وزدنا له هذا الشرط الواجب بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إلى الغروب بين يدي في حياتك وبعد مماتك إلى الأبد وإياك أن تغفل عن أصحابك إلى غير ذلك ...

نسخة من خط سيدي الحاج الحبيب بن حامد رضي الله عنه

تونس في غرة
رمضان 1427
(الجمعة)

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق
الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

هذه وصية لفقراء الله:

-أولا: أن تتجهوا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تتبعوا الشيخ فهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض.

ثانيا: أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وباصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وتجنب النفاق والحسد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من البغض والعرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلهية المحمدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا غرض واللا أنا هي الله ولا شيء غير الله.

ثالثا قراءة القرآن وحفظه وختمه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجل ودون حرمانهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن. والعبادة الخالصة لوجه الله.

اللهم صل على سيدنا محمد الخاتم لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. الحاج الحبيب الشماري خادم الطريقة

تونس في 20 رمضان 1427 (الجمعة)

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . هذه وصية لفقراء الله:

- أولا : أن تتجهوا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تتبعوا الشيخ فهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض

- ثانيا : أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبأصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني وتجنب النفاق.

والحمد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من النفس والغرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلاهية المحمدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا غرض، واللاّ أنا هي الله ولا شيء غير الله.

- ثالثا : قراءة القرآن وحفظه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجال وصون حرماتهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن والعبادة الخالصة لوجه الله

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الحاج الحبيب الأقماري لطف الله به

فهرس الجزء السابع من سلسلة: (مِنْ كَلَامِ العَارِفِينَ)

عنوان الدرس	الصفحة
الغِيرَةُ	15
تَعْلِيقَاتٌ على زِيَارَةِ تَطَاوِين صَفَر 1434هـ	32
وَأَمَّا مُجَاهَدَتُهُ	36
المِدْحُ عَظِيمٌ وَالمِذَاكَرَةُ أَعْظَمُ	43
رِسَالَةُ الشَّيْخِ ﷺ إِلَى بَعْضِ الطَّلَبَةِ	56
كَتَبْتُ بَيْتَانِ	67
ذِكْرَى 11 وَ17 صَفَرْ 1433هِ	72
الفَرَحُ بِالنِّعَمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ	90
مَنْ يُبَاحُ لَهُمُ التَّيَمُّمُ	94
وَأَمَّا عُلُومُهُ البَاطِنَةُ	97
الملحق الأول: الخشوع والتواضع	105
الملحق الثاني: الصدق	107
الملحق الثالث: المراقبة	109

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

في حافلة تطاوين يوم الأحد 3 صفر 1434هـ الموافق لـ16 ديسمبر 2012م

الغِيرَةُ

فقير: السؤال الأول: كيف يوفق المريد بين تعظيم الأحباب والمشارب الأخرى مع ما يعتريه في صدره من شعور بالغيرة[1] على مشربه وشيخه في نفس الوقت؟

البيان: بسم الله والصلاة على رسول الله ﷺ، تعظيم الأحباب ﷺ هو أمر مفروغ منه ولابد منه، وذلك للكثير من أقوال الشيخ ﷺ والخلفاء فيه، وأنّهم كلّهم أهل مرتبة خاصّة، وهي مرتبة المحبوبية، فمرتبة المحبوبية تقتضي حتما تعظيم كلّ من انتسب لجناب الشيخ ﷺ وأرضاه، تعظيما واحتراما خاصّا، بسبب هذه المرتبة الخاصّة التي أفيضت عليهم كل واحدٍ واحدٍ من حضرة الغيب، ومن حضرة رسول الله ﷺ، وهذه في الحقيقة أكبر غيرة، وهذه هي الغيرة الحقيقية والتي فيها خطورة

[1] **"إن الغيرة من الإيمان إن البذاء من النفاق"** البيهقي في سننه عن زيد بن أسلم مرسلا.
"الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق" البزار للبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد.
"إن الله تعالى يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه" لأحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة.
"إن الله تعالى يغار للمسلم فليغر" للطبراني في الأوسط عن ابن مسعود.
"المؤمن يغار و الله أشد غيرا" مسلم عن أبي هريرة.
"لا شيء أغير من الله تعالى" لأحمد والبخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر.
"لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل" لأحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود.
قال في الجواهر: ثمّ قال ﷺ: والمحبّة الصادقة هي التي تورث **الغيرة** لصاحبها. قيل للشبلي ﷺ: متى تستريح؟ قال: إذا لم أر له ذاكرا غيري ا.هـ

ويجب على الإنسان أن يأخذ حذره منها قبل أنواع الغيرة الأخرى والتي سنأتيها إن شاء الله، قال الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ: "**إنَّ لنا مرتبةً عندَ اللهِ تَناهَت في العلوِّ عندَ اللهِ تعالى إلى حدٍّ يحرَم ذِكْرُهُ، ليس هي ما أفشيتُهُ لكُمْ، ولو صرّحتُ بها لأجمعَ أهلُ الحقِّ والعرفانِ على كُفري فضلاً عمَّا عَدَاهُم، وليست هي التي ذكرتُ لكم، بل هي من ورائها، ومِنْ خاصيّةِ تلكَ المرتبةِ أنَّ مَنْ لم يُحافِظ على تغييرِ قلبِي من أصحابِنا بعدم حِفْظِ حُرمةِ أصحابنا طردهُ الله من قُربهِ وسلبَه ما منحهُ**".ا.هـ وفيها الآية {**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**} (57) سورة الأحزاب، إذًا فإذاية النبي ﷺ كادت أن تكون كفرا، وإذاية الفقير هي من نفس الجنس، لماذا؟، لأن له محبة خاصة من رسول الله ﷺ، وبهذه المحبة الخاصة أصبح كل واحد أساء إلى واحد منهم فكأنما أساء إلى النبي ﷺ، وهنا تكمن الخطورة، فأول ما يعتقده الإنسان أن كل الفقراء أصحاب مراتب عالية، فليتحفظ على قلبه، ومثال ذلك زيارتنا لإخواننا في تطاوين، وقد وجهوا لنا الدعوة منذ سنوات، ولكن لم أوافق على الذهاب إلا إذا كان هناك استدعاء رسمي، وما معنى استدعاء رسمي؟، هل هو استدعاء بروتوكولي؟، لا، لأننا فقراء وليس لنا النَّفْسُ ولله الحمد، أو ربما قليل من النَّفْسِ وتُطرح جانبا، ولكن الاستدعاء هو إذن من المكلف في تلك الربوع حتى نأتي إليه، ولما كلمني سيدي مصطفى مقدم تطاوين، قلت له: نعم لبينا الدعوة محبةً، وإن لا فلا، فكما وجهت لنا الدعوة من بعض الفقراء لم أجب بنعم أو بلا ولكني أيضا لم أذهب لزيارتهم، لأن الأمور لابد أن تسير على نظام معيّن، ثم عند خروجنا من تونس نويت وأنا العبد الضعيف أن تكون زيارتنا هذه خالصة لوجه الله تعالى، وما دخلت تطاوين حتى صليت ركعتين لله تعالى في الزاوية الكبرى وسلمت على كل أولياء الله من الأحباب التجانيين الأحياء والأموات ومن جملتهم سيدي محمد بن فرج ﷺ وسيدي سعد كادي ﷺ وكل الأولياء الذين ربما يكونون قد ظهروا أو لم يظهروا

وذلك احتراما لجميع المراتب وكلمتهم بلساني بيني وبين نفسي: "السلام عليكم، أتيناكم زائرين متبركين ومحبّين ومسلّمين ومستسلمين"، ولابد لكل إنسان أن يكون على هذا المنوال لكي ينجح، لأن الأصل فيه العلاقة مع الله ﷻ وأغوار النفس صعبة وحبائل إبليس أصعب وأصعب، لأن ما يمزق إبليس والأبالسة هو محبتنا، لقوله ﷻ في الحديث القدسي: "**وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ**"[2]، ا.هـ وقوله ﷻ: "**حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتناصحين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**"[3]، ا.هـ فمحبّة الأحباب الفقراء التجانيين هي محبّة واجبة من هذا الباب، لا غبار عليها، ولابدّ من صفاء القلوبِ صفاءً تامًّا، ولابدّ من تقديمِ فرحِ ورِضَى ذلك الفقيرِ على فرحِ ورِضَى نفسك، وإن كنت أنت الزائر، وفي كل لحظة، بل وتأخذ حذرك من إبليس من هنا ومن هناك، كقولك: هذا لم يبادرني بالسلام وهذا لم يعظّمني ولم يحترمني، فقد صرتَ أنت فرعونَ زمانِكَ في لحظة، فلابد أن يكون الإنسان متيقظا، عبد جاء يسلم على إخوانه، فقط. وفي هذا اللقاء تتلاقى أيضا بحور أمواج البواطن وأسرار الفقراء، ومن جملتهم أهل الخصوصية فيهم سواء كان من المقدمين أو من غيرهم، فتتلاطم بحور وأمواج جبال علومهم وأسرارهم وولايتهم، فكلهم أولياء، أنت ولي وهذا ولي والآخر ولي، وكل على حسب نيته، إذًا كيف يكون التعامل هنا؟، فالغيرة لها حدود وتكون على حسب درجة ومعرفة الإنسان، فالإنسان لماذا يغار؟، فالمحب إذا وجد من يمدح ومن يعظم شيخا آخر غير شيخه، تأتيه الغيرة، وهذه غيرة من الدرجة الأولى، وهناك غيرة من الدرجة الثانية في الشيخ سيدي أحمد التجاني ﵁، وهناك غيرة على

[2] لأحمد والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ.
[3] لأحمد والطبراني في الكبير وللحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت.

حضرة رسول الله ﷺ، وهناك غيرة على حضرة الله ﷻ، وتتنوع الغيرة على حسب المقصد، فما هو المقصود؟، ربما يُقتحم مكروه في سبيل نشر علم أو نشر دين أو إصلاح علم المسلمين، فالغيرة أولاً هنا حق على الإنسان المضيِّف، وحق على الفقراء في العالم أجمع ليأخذوا حذرهم من هذه النقطة التي يمكن أن يدخل إليهم منها إبليس، ألا وهي مسألة المشرب أو المشارب، فإذا مدحوا فليمدحوا الخلفاء مع بعضهم البعض، فهل يعقل أن شيخك سيدي فلان وتحبه وتهيم في ذكره وذكر أوصافه وفي ذكر محاسنه والتي أصلها من الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، فهي ليست لك، وليست لسيدي محمد بن فرج رضي الله عنه ولا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه ولا حتى سيدي محمد قمار رضي الله عنه، فكله من سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ثم كله من رسول الله ﷺ، ثم كله من عند الله ﷻ، ولكن للرجال مراتبهم وأسرارهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فكيف يعقل أنك تحب أن تمدح شيخك وشيوخك وتتمايل بهم حبا وهياما، وتعلم أن غيرك يحبون ويعظمون أشياخهم ثم لا تعطي لهم الفرصة حتى يمدحوهم، فأنت لم تزن بالقسطاس ولم توف الكيل[4]، ولكن هذا في حد ذاته لابد فيه من درجة رفيعة في الفهم في المقصد العالي جدا، وإلا فليس من السهل أن يتبين الإنسان دقائق الأمور، ولو كان ذلك بنية صالحة، وقد أرادوا أن يفرحوكم ويفرحونا، ويكون هذا الوجد والتواجد بذكر ساداتنا الذين شرفهم الله بهم، لأن ساداتهم ساداتنا، فلا يستطيع سيدي محمد بن فرج رضي الله عنه إلا أن يكون سيدنا، وهو خليفة الشيخ رضي الله عنه، فهو كذلك سيدنا، فكل من كان قبلنا فهو أفضل منا، وكل من وضع حجرا في الإسلام نقبل التراب الذي تحت قدميه، وهذا حقيقةً وليس لفظاً، فلا بد أن نفهم هذا، وهذه آثارهم تدل عليهم، من فهم عميق ومعرفة بالله وحب للطريقة وقواعد سمحة يتمسكون بها وكل واحد فيهم له الحق في ذلك لكي لا يلتفت للغير لأنه إذا التفت هلك، فلا يجعل الانسان لنفسه شيخان أو ثلاثة، بل واحد فقط،

[4] {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (35) سورة الإسراء

فإذا ما أخذ الطريقة مثلا عن سيدي محمد بن فرج ﷺ وله مشربه وله خليفته سيدنا العروسي بن فرج ﷺ، فيحب جميع السادات، وله تربيته لأن الله ﷻ قد جعل له نوعا ونمطا خاصا في التربية في ذلك المكان، وغيره بعث له نمطا آخر في التربية، ولكن الماء ماء واحد، فكلما أخذك الوجد فإنه سيأخذه الوجد كذلك، ولكن كل على حسب أموره، فإذا كان للإنسان دائرة واسعة في الفهم والذوق ويعلم أن مقصوده عالٍ فإنه لابد أن يصبر لهذه الأمور، وينزلها منزلة طيبة، ويتخذ لأخيه عذرا ومائة عذر وألف عذر، ولا يتغير، مدحنا أسيادنا، مدحنا شيوخنا، مدحنا من هم أكبر منا سنا، مدحنا أناسا خدموا دين الإسلام، مدحنا أناسا خدموا الطريقة وما أدراك، ومدحنا عارفين بالله تعالى ﷺ، وما هو مقصودنا؟، ذهبنا زيارة في سبيل الله، وتعرّفنا على بعضنا البعض، سمعنا المدائح وما أدراك، وتنزلت أنوارٌ لا يعلمها إلاّ الله ﷻ، تطهّرت البواطن، وزادت نورا على نور، وزدنا محبّة، فرحنا، نشطنا، أكلنا، إذن قاموا معنا بغاية الإكرام، ولكن لم يمدحوا أشياخنا، فلا بأس بذلك، ولكن ما الذي بيننا؟، فأنا أقرأ العلم الذي أعطاك الله، وأعظمك، وأنت كذلك لا تخبأ العلم الذي أعطاني الله، فلابد أنك تقرأه وتوزعه وتعظمه، فتجد أن الماء ماء واحد، وأنت تضيف لي وأنا أضيف لك، علما وعملا، فلو سبقتك مثلا بالعلم فربما تسبقني أنت بالعمل، وغدا ربما تسبقني أنت بالعلم ولكن ترى فيّ نظرة فتجدني قد سبقتك بالعمل والحال، فتأخذ مني نظرة فقط توصلك إلى المعرفة بالله تعالى في لحظة من الزمن، وربما أنا كذلك، وهكذا التكامل، والمهم أن لا يكون الإنسان آلة، وأن لا يدل الإنسان على مشرب معين، فهل نحن كبعقيليين ندل على مشرب بالذات؟، وهل نشتغل على مشرب معيّن؟، لا ندل على مشرب، وإنما نتقيد بمشرب علما وطريقة وعملا، وذلك هو دستورنا في وسط الطريقة، فمشربنا فيه خصوصيته وفيه تربيته وفيه أذواقه وفيه مواجيده وفيه أسراره، لا إشكال في ذلك، ولكن إذا خرجنا منه فلا نتقن غيره، إذًا فالإنسان إذا سار في

هذا النحو، نجد أننا زرنا إخواننا، استمددنا منهم بركة وعلما وعملا، إلى آخره، وغدا زادت المحبّة بيننا، ثمّ بعد غد وضعنا معًا برنامجًا مستقبليًّا للنهوض بهذه الأمّة، لأنّ الفقراء من قوّة الجذب عندهم لا ينتبهون إلى أنّهم مِحْوَرٌ في أمّة الإسلام، لا ينتبهون إلى أنّهم يحملون الدّين الصحيح علما وعملا، لا ينتبهون إلى أن الواحد منهم حين يصلي على النبيّ ﷺ، ويستغفر الله ﷻ كلّ يوم بتوفيق من الله ﷻ، فليعلم أنّه يحمل حملا كبيرا عن أمّة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، وانظروا إلى الأحاديث الكثيرة التي فيها أنه بسبب رجل صالح[5] يغفر الله ﷻ لكثير ويعفو عن كثير[6]، فالفقراء من قوة التجريد عندهم لا ينتبهون إلى هذا الدور الذي يقومون به، فالفقراء التجانيون قائمون بدور عظيم وهو أنهم يبرّدون الحضرة الإلهية حين يكون غضب الله ﷻ فيهمّ بأهل قرية ويهم أن يهلكهم فينظر إليه صباحا ومساء وهم يذكرون لا إله إلا الله قولا وعملا مع الإطعام والإنفاق والتحابب في الله والذكر والصلاة على رسول الله ﷺ فيصرف عن تلك البلدان العذاب الذي كان محتما، بماذا؟، بما فعلت أيدي الناس، {**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**} (41) سورة الروم، فالفقراء قائمون بخدمة كبرى، وإذا اتحد الفقراء هذا الاتحاد وهو اتحاد المحبة ونبذ التعصب لمذهب ما أو لمشرب خاص وعرفوا قيمتهم فردا فردا وكمجموعة وعرفوا أنهم في برنامج كبير للمستقبل وأنهم يكوّنون أجيالا وعرفوا أنه يجب عليهم أن يبنوا زوايا كبرى ويجمعوا الناس على الله ﷻ ويطعمون الطعام ويكوّنون الناس الذي سيصيرون أيمة وأيمة خطباء ويكوّنون أولادا صغارا بتحفيظهم القرآن والسنة النبوية المطهرة ويعلمونهم الدين الوسطي والذي فيه التسامح، يكونون بذلك قد قاموا بخدمة عظيمة جدا، ولكن هذا لا يتأتى إلا إذا تظافرت الجهود، فانظروا رحمكم الله ما هو المقصود من هذا التحابب، وهو شد أزر بعضنا البعض

[5] **"إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء"** تخريج السيوطي الطبراني في الكبير عن ابن عمر.
[6] **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}** (30) سورة الشورى

عملا وعلما وهو أن نتقوّى في خدمة دين الله وفي خدمة الأحباب، وإذا ظهر هذا المقصد فإن البعض إذا أخطأ في حقك أو لم ينتبه إلى نقطة معينة فيكون منك أنت العقل، فلا إشكال، ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد، فاليوم كتب الشيخ البعقيلي ﷺ مبثوثة في العالم كله، خدمةً لمن؟، هل ذلك خدمةً للمشرب البعقيلي؟، ماذا سنحمل لسيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ؟، دنانير وذهب وفضة، وحتى سيدي محمد الكبير البعقيلي ﷺ قد أحمل له في بعض الأحيان هدية وفي بعض الأحيان أنسى أن أحمل معي شيئا، أو ربما أحمل بعض الغلال غير الموجودة في المغرب أو ربما أنسى، فماذا نحمل لهذا المشرب البعقيلي، وسيدي الحاج الأحسن قد ربح وهو في دار الحق، فنحن لا نرفع راية البعقيلي ولا نحب أن نظهر –حاشى لله– بمظهر البعقيلي، فنحن أناس ضعاف، ولكن ذلك السر وذلك العلم فيه صلاح الأمة، فما لم يقله سيدي محمد بن فرج ﷺ وما لم يقله سيدي الحاج التماسيني ﷺ على صيغة معينة قاله سيدي الحاج الأحسن ﷺ، فسيدي محمد بن فرج ﷺ قاله بصيغة أخرى ولا مجال للعب في هذا، فانظروا الناس الذين صلينا معهم، إذ لم أكن أمزح حين قلت لهم: صلينا بينكم فكأننا صلينا بين صحابة رسول الله ﷺ، فالتجريد والصدق والصمت والهدوء والمحافظة على الصلوات هو ما أحسسته في قلوب هؤلاء الناس، وهي مسألة عجيبة وليست ببسيطة، ولا تكون إلا ببركة سيدي محمد بن فرج ﷺ، وببركة الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ، رجال تجد الواحد منهم قد وضع همته ووجّه نفسه وكله لله خالصا، فظهر سر ذلك الإخلاص، وهو ما يتحدثون عنه بقولهم العقيدة، فما هي العقيدة؟، هم إنما يتحدثون عن التوحيد الخاص، ﷺ، فيقولون: نسأل الله أن يثبتنا على العقيدة ولا نريد إلا تقصير الهمة ولا نحب الالتفات، وهم في الحقيقة إنما يتحدثون كما قلنا عن التوحيد الخاص الذي هو من أعلى المقامات في الدين وفي الطريقة التجانية وتجدون تفسيره في كتاب الجواهر وغيره، وهذا ما نراه ولا فخر، نعوذ بالله من كلمة أنا، فإذا

عرفنا أن هذا فيه إعانة لبعضنا البعض وبناء الزوايا ويُبعث بالناس ليتعلموا ويدرسوا العلم ككتب الشيخ البعقيلي ﷺ، فقد أقاموا مثلا يوما علميا في المغرب عن الشيخ البعقيلي ﷺ وحضر فيه دكاترة من الجامعة المحمدية بالدار البيضاء، وقد ذهلوا فيه أيما ذهول لكون هذا الرجل الذي كان بينهم أصله من سوس وهم لازالوا يقولون كتب سيدي فلان كذا وسيدي فلان كذا، وهم لم يكتبوا شيئا أمام ما كتبه هذا الرجل النابغة الذي يعد فلتة من فلتات الزمان وهو تجاني يخدم الطريقة التجانية، فهذا شرف لنا، فإذا كان الأحباب في تطاوين لهم هذا الصفاء قبلونا ونحن لنا هذا الصفاء قبلناهم بنفس التحابب لله ﷻ، فنكون قد قمنا بخدمة كبرى لله ﷻ، وقد قرأوا كتب الشيخ البعقيلي ﷺ وأعطوها لأناس أصحاب إجازات وأصحاب علوم عالية، فماذا نكون قد فعلنا؟، نكون قد بثثنا دين الإسلام لا غير، وشيخي سيدي محمد القماري ﷺ ولا فخر وكلّ الفخر ببركته سمعته مباشرة منه إليّ يقول: "ليس هناك شيخ بعقيلي، إنما هو الشيخ سيدي أحمد التجاني"، فهو نور الله والمقصود فيه خدمة المؤمنين وخدمة الناس، فإذا عرف الإنسان هذا فإن الغيرة تنقلب محبة، ونجمع جميع مشائخنا في قلبنا ونحاول أن نجتهد كمسؤولين عن هذا، فلا نستطيع أن نقول نحن غير مسؤولون إلى أن نصير ممن يطير في الهواء مثلا، بل نحن مسؤولون كلنا بما أعطانا ربنا ﷻ في زماننا، فلو أعطانا دينارا أو اثنين نتصرف بذلك، ولو أعطانا قليلا من علم كذلك، والحمد لله، فالله ﷻ هو الذي يقود الأمور، ونحن نجتهد ونكون جاهزين وعندما تحين الساعة تجده واقفا كما ينبغي فلا يقول: تعبت، أو أريد أن أرتاح، وهذا للجميع من كبير في السن عمره ستون عاما إلى من لديه مرض السكري —عافاكم الله– إلى من يحس جسده قد انتهى ولم يعد فيه شيء ومع ذلك يقف معك ويتبسم في وجهك ويخدمك، فماذا تريد أكثر من هذا، فكل واحد وما أعطاه ربه ﷻ، والجميع نحمل نفس الحمل، ومن عرف ما قصد هان عله ما وجد، فإذا عرف الإنسان مقصده تصير كل هذه الأمور ثانوية بل وأكثر من

ذلك تصير أمورا جانبية، وهنا تكون الرجولية حقا، فمن قدر أن يدع مشاكل ومسائل المشارب جانبا ويضعها على الهامش يسمى رجلا، لأنه مصلح قد تغلب على إبليس نفسه وإبليس أحبابه ولأنه قام بأخلاق رسول الله ﷺ، وخلقه الأعظم "**أدبني ربي فأحسن تأديبي**"[7]، "**صِلْ مَن قَطَعَكَ وأعْطِ من حَرَمَكَ واعفُ عمن ظَلَمَكَ**" بل ويستطيع الناس أن يقولوا "هؤلاء بعقيليون"، وما معنى بعقيلي؟، لا يعرفون إلا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي رضي الله عنه! بل ويقدمونه على الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه! ولا يعرفون سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه! ولا يعرفون سيدي محمد بن فرج رضي الله عنه!، فهكذا توحي الشياطين إلى بعض الناس الذين لا معرفة لديهم فتراه غضبانا لأن فلانا البعقيلي لم يفش السلام بينهما، وما ذلك إلا من فعل الشيطان، فلا نترك الأمر على ما هو عليه ونظل نشاهد الموقف في صمت بل نمر إلى مرحلة "**صل من قطعك**" وخاصة وأن الأمور صارت بالإذن الصحيح فسيروا بسم الله ونحن معكم، وقد قلت لسيدي مصطفى رضي الله عنه: "ما جئت لأتكلم بل جئت مستمعا لكم، فلا أتكلم إلا بإذنكم وإن كان لا حاجة لي بالكلام أصلا بل جئت لأراكم ولأسمعكم فقط"، فلابد للإنسان أن تكون له هذه القوة ولكن يجب أن تكون قوة صادقة، فلا يغضب إذا لم يعطوه الكلمة بل اترك الأحباب هم الذين يتكلمون رضي الله عنهم، فلو أرادوا منك أن تقول كلمة بأمور صادقة فلا بأس بذلك، وهل أن ما عندي أكثر مما لديهم؟، نعم لدي أكثر مما لديهم وهم لديهم أكثر مما لدي، رضي الله عنهم جميعا، فبيت واحد من مدائحهم يكفينا ويغنينا عن كل شيء منذ خروجنا إلى رجوعنا، فنعود إلى أهلنا قائلين: قد قرأنا بيتا من الشعر وكفى، لأنه يضعك في الدرجة التاسعة من المعرفة بالله تعالى، وهذا كلام لا ريب فيه، وقد قالها المدّاح، قال: هذا كلام موثق مطبوع بطابع صحيح وبطابع الحق وليس فيه الزيادة ولا النقصان، وكلامه صحيح رضي الله عنه، فالشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه أعطاه الله

[7] (ابن السمعاني في أدب الإملاء) عن ابن مسعود.

القوة ليُمِد ويُمِد، فهذا بالعلم وهذا بالصدق، ثم انظر إلى التنوع، ومتى ننظر إليه كتنوع لا كاختلاف؟، فلا يجوز إن كنا مختلفين في الذوق وفي درجات الفهم أن نصير في نزاع، فكل واحد إلا وله مقام معلوم، وكل واحد فيكم ولله الحمد إلا ويُستسقى الغمام بوجهه، فهذه نيتنا، مع الدعاء الصالح منهم جميعا وخاصة الكبار في السن، فمنهم من له سبعون عاما وليس له إلا صلاة الفاتح ولا يرى إلا الموت ثم يدعو لك دعوة تمزق الدنيا بأسرها، وهذا أمر الله، لأن الله ﷻ يحبه، فعلى الإنسان عوض أن يراه اختلافا وتصادما وإنما يراه تنوعا وغنى، فهذا مما يغنينا ويثبتنا ويزيدنا عزا وشرفا، فأتشرف بأن لي إخوانا في تطاوين في الجنوب التونسي، فسيروا وانظروا ماذا كتبوا وماذا عملوا وما بنوا من زوايا، وحين يكون لنا ملتقى في تونس نطلب من سيدي فلان أن يمدنا بخمس من المادحين مع عالِمَين أو ثلاثة لتكون الكلمات العلمية في موضوع محدد، فترى الناس في شغل دائم ويَحضرون لينوّروا لك وجهك، أنوّر بهم وجهي فهم عزنا وشرفنا، فالتنوّع إنما هو بإبراز الطاقات وتسريح الطاقات المعطلة، فاكتبوا جازاكم الله خيرا وتعلموا العلم وسيروا على بركة الله وخاصة وأن الخطوط العريضة موجودة ومعروفة ولله الحمد فاعلموا فالمهم أن نكون جميعا يدا واحدة بالنظام، فالتنوع ليس خلافا ولا اختلافا إنما هو غنى واتساع الدائرة وهو شرفنا، فما ذاك إلا أخي وهو تجاني، وهو حبيب الله فهو حبيبي وصديقي وصاحبي ومالي هو ماله، فماذا تريد أكثر من هذا؟، بل وأَستند إليه كيفما أشاء، اللهم لك الحمد، وانظروا الأحاديث النبوية الشريفة، المسلم قوي بأخيه المسلم[8]، والرجل كثير وقوي بأصحابه لا بنفسه، فإذا انتحينا هذا المنحى ونحن في منهاج الدعوة إلى الله أي إبلاغ من لم يسمع هذا العلم مع خصوصيات

[8] - **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"** لأحمد والبخاري ومسلم لأبي داود وللنسائي وللترمذي عن ابن عمر.

- **"من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة وإن لم تقض كتبت له عمرة"** للبيهقي في الشعب عن الحسن بن علي.

التربية فيه فنكون بذلك قد قمنا بخدمة كبيرة جدا للأجيال القادمة، وبالنسبة لأهل تطاوين فقد مدحونا مدحا عظيما، وسأخبركم كيف مدحونا مدحا أكبر مما مدحوا به سيدي محمد بن فرج ﷺ ويحق لهم أن يمدحوا، فكيف مدحنا هؤلاء الرجال؟، بأن أحبونا لله تعالى وفرحوا بنا فرحا لله فوق الطاقة، وذلك الفرح أكبر مدح لنا ولسيدي الحاج القمار ﷺ وسيدي الحاج الأحسن ﷺ وجميع مشائخنا، وفي ذلك اعتراف بكم فهم يحبونكم ويقدرونكم ويعظمونكم ويحترمون مشربكم بل ويحترمون طريقتكم في التربية ويقولون لكم يا سادتي أنتم على رؤوسنا من فوق، وهذا أكبر احترام منا إليهم فتلك مرتبتهم، والمراد منه أنهم أناس ينصفون الأحباب، وتلك مرتبة تسجل في حقهم، وهذا حق، إذًا ماذا بقي؟، بقي إبليس لعنه الله، نخرجه خارج دائرتنا على بركة الله وفي كل لحظة، وإياكم ومحبة الأحباب، ثم متى تكون الغيرة؟، إلا إذا قال لك بعضهم: شيخك ليس بعارف، يكون لك الحق في الغيرة، أو دخل بك باب تفضيل شخص على شخص يكون قد دخل في الجهل، حينها يكون لك الحق أن تغار وتتكلم، وأما إذا لم يفعل هذا فقد عظمنا وعظم شيوخنا، ونحن بما دخلنا عليهم؟، بنور شيوخنا، وهم بما أحبونا؟، قد أحبونا بسر نور باطني يرونه فينا، لأنه مفتوح عليهم وأنتم مفتوح عليكم أيضا، فهم إنما يرون السر الباطني الذي أودعه سيدي الحاج القمار ﷺ فيكم، فيرون سر السند وهو سر صحيح، فحين يأتي أحدهم لزاوية باب الخضراء ليحضر الذكر معنا يحس بشيء ينبّض في قلبه فقط، فهم مفتوح عليهم رضي الله عنهم، إذًا فقد عظمونا تمام التعظيم وتمام الاحترام، وهنا تظهر أهمية العلم، فتفضيل شيخ على شيخ مسألة خطيرة جدا، وقد قالها لي سيدي الحاج القمار ﷺ مباشرة مني إليه وقد اتسعت عيناه بشدة: حذار أن يأتي يوم تقولون فيه أن سيدي الحاج الأحسن ﷺ أفضل من سيدي الحاج علي التماسيني ﷺ أو أن سيدي الحاج الأحسن ﷺ أفضل من فلان فإن في ذلك خطرا كبيرا، ولذلك أقولها لكم، عليكم أن تكونوا في باب مسؤولية علم دون تفضيل

شخص على شخص، فكلهم على العين والرأس، فسيدي الحاج الأحسن ﷺ هو صاحب مشربنا، وجميع الخلفاء نحن تحت تراب أرجلهم بنفس التعظيم، رضي الله عنهم، وهذا يكون حقيقة، ولكن قد يدخل بعضهم في هذا التفضيل في بعض الأماكن فيقول: لا عليك بمشرب سيدي فلان وتعال إلى مشربنا فالسر عندنا، وهذه قد لاحظتها عند بعض المنتسبين لمشرب سيدي إبراهيم انياس ﷺ، كقولهم: نحن أصحاب الفيضة ونحن أصحاب السر ونحن أصحاب الدعوة المستجابة، فمن قال هذا دخل في نهاية الجهل ويخاف على نفسه من الأحباب، وحاشى لله أن يكون سيدي إبراهيم انياس ﷺ قد قال شيئا من هذا، وحاشى لله أن يكون سيدي الحاج الأحسن ﷺ قد قال شيئا من هذا، وحاشى لله أن يكون سيدي الحاج علي التماسيني ﷺ قد قال شيئا من هذا، وحاشى لله أن يكون سيدي محمد بن فرج ﷺ قد قال شيئا من هذا، فهم أناس لا يعرفون إلا الله ورسوله، وهم أناس موتى كما ترى سيدنا أبا بكرا الصديق ﷺ، فكلهم وخاصة الشيوخ كبار السن تراه وكأنك ترى ميتا يمشي على وجه الأرض، ولكن بعض الفقراء والأحباب يكونون سببا في بعض المشاكل، ولذا املؤوا أوقاتكم بالعلم لأن العلم هو الذي يرفع الجهل ويوضح الأمور، ولنكمل الجواب عن السؤال، فالغيرة لا يكون لك الحق فيها إلا إذا جاءك أحدهم قائلا: دع عنك شيخك وأنا أعطيك شيخا جديدا، حينها يمكنك أن تغار، وهذا ما فصّله سيدنا سيدي محمد أحمد الكنسوسي ﷺ العالم الجليل الرباني القطب في كتابه "**الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا تثبت**"، فقد طرح ﷺ مسألة الأفضلية ووضحها كما ينبغي[9].

وفي الحقيقة فالإخوان قد فرحوا بنا فرحا كبيرا وأكرمونا إكراما كبيرا، فيحق لنا ويحق لهم أن نعظمهم وأن نحترم لهم هذا الأمر، وإن شاء الله بتيسير منه ﷻ لا نقول

[9] يقول سيدي الكنسوسي في الجواب المسكت: "**إذا نظرتَ الأمورَ بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصّب للمذاهب، ظهرتْ الحقائق، واتّضحت الطرائق.**" ا.هـ

نكافئهم أو نرد الجميل ولكن نفرح بهم كما فرحوا بنا، فهذا الجواب على السؤال الأول وهو احترام الفقراء عامة واحترام المشايخ والغيرة لله، ونتمها بقوله ﷺ: "**صِلْ مَن قَطَعَكَ وأعْطِ من حَرَمَكَ واعفُ عمن ظَلَمَكَ**"[10].

فقير: السؤال الثاني: ما هو سبب كثرة المقدمين في هذه المنطقة (أي تطاوين)؟

البيان: حتى لا ننحى منحًى انتقاديًا، فإن أول ما نفعله أن ندع الانتقاد جانبا، فننزع الانتقاد من لساننا وقبل ذلك ننزعه من أفكارنا، فالفكر والقلب لابد أولا أن لا ينتقد بل ينظر إلى الخلق ويعظمهم كيف ما كانوا عليه، وهذه قاعدة، فاهتم بنفسي،

لِنَفْسِـــي أَبْكِـــي لَسْـــتُ أَبْكِـــي لِغَيْرِهَـــا

لِنَفْسِـــي فِـــي نَفْسِـــي عَـــنِ النَّـــاسِ شَـــاغِلُ[11]

وهذا أول ما يفعله الإنسان وخاصة في الزوايا، لأن هذا أصعب وأخطر أمر، فإذا دخلت لزاوية فمهما كانت الناس التي فيها وقلت لماذا هذا مستقيم وهذا غير مستقيم وهذا لا يعرف وهذا يتدخل في شؤون غيره، فذاك هو الانتقاد القلبي وهو كله ضرر، فافهموا هذا جازاكم الله خيرا، ثانيا، بالنسبة للمقدمين، فالتقديم معطى من الله ﷻ وله شروط وله أهلية وله تاريخ، ففي بعض المناطق وعلى حسب المربين

---

[10] مسند أحمد » مسند الشاميين » حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ
16999 حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فقال لي يا عقبة بن عامر **صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك**

[11] محاسبة النفس لابن أبي الدنيا » بَابُ: إِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الأَعْمَالِ طَلَبَ الراحَةِ يومَ المَعَادِ:
رقم الحديث: 105 (حديث مقطوع) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: " تَعَبَدْتُ بِبَيْتِ شِعْرٍ سَمِعْتُهُ: **لِنَفْسِي أَبْكِي لَسْتُ أَبْكِي لِغَيْرِهَا لِنَفْسِي فِي نَفْسِي عَنِ النَّاسِ شَاغِلُ** ".

في تلك المنطقة فإن اعتبار الأهلية يكون على حسب المنطقة وعلى حسب الخليفة فمنهم مناطق تكون فيها الأمية وكثير من الناس لا يصلون فيكون فيها المقدم أولا هو الانسان الذي يجمع الناس والذي يحترمه الناس ويعظمونه ويتبعونه ويكون له منزلة اجتماعية ويكون له من الفقه ومن معرفة الطريق ما يمكنه من إرشاد الفقراء ولا يجب أن يكون بشرطه عالما، ثم إن المناطق في تطاوين متباعدة عن بعضها البعض فلابد لكل زاوية أن يكون فيها من هو قائم بالزاوية والا اختلطت الأمور، فهذا للتنظيم، فهذا النوع من المقدمين على حسب الجنوب وعلى حسب التركيبة الاجتماعية للفقراء ربما يتماشى معهم أن يكون في كل مكان مقدم يكون مهتما بالزاوية وناظرا عليها وربما يأذن في الورد وربما يكون في بعض الأحيان تقديما شرفيا فله التقديم في حد نفسه وله ذلك المقام ولكنه يجمع الفقراء فقط، فإذا دخلوا الطريقة يكون المقدم المشرف على المنطقة بأسرها هو الذي يلقن، وفي مشارب أخرى وفي أماكن أخرى، لا يأذن في التقديم حتى يستخرج عصارة من عصارات العلماء وهذا منهج تكون فيه الأهلية صعبة كما هو الحال عند سيدي الحاج الأحسن ﷺ لأن الدار البيضاء والمغرب عموما تعج بالعلماء وتعج بالأولياء وتعج بالمقدمين أيضا، فتكون له فرصة أكبر للاختيار، فيختار ثم يختار ولا يقدمه إلا إذا كمّله في الظاهر والباطن وصار من العلماء، وفي مناطق أخرى تكون الأهلية موسّعة قليلا على حسب الزمان وعلى حسب المكان، فربما يكون مقدما وخليفة ومربيا وربما تجده غير حافظ للقرآن كاملا أو غير متمكن من الفقه كله، فهذا فتح من الله ﷻ فيضعون فيه سرهم مصلحة لتلك البلاد، وهذا الأمر معمول به، ولكن ولله الحمد فكما رأينا مقدمين كثيرين فقد رأينا فقراء كثيرين فلا شك في كونهم في تطاوين ونواحيها يكون عددهم بالآلاف، عائلات بأسرها، ولِنَقُل أنها عروش بأسرها قد دخلت في الطريقة، فقد رأينا بعضهم كالمقدم سيدي علي برغم تقدمه في السن وبرغم وقاره وهيئته يحمل الإناء ليغسل الفقراء أيديهم فيه ويقدم الخبز

وهذا أمر عظيم، فهو من أهل الله، ولو طلبتَ منه الجلوس لرفض، برغم تقدمه في السن، فهم أناس متجردون لا يضرهم التقديم ولله الحمد، ولا يتنازعون على الأماكن، ولم نر سيدي مصطفى يترأس كترأس بعضهم في أماكن أخرى، فهذا المستوى المعرفي والمستوى التجريدي والصدق في تبليغ الأمانة لا يضر وإنما الأمر منظّم ولله الحمد، هكذا رأيناه، ولكن في أماكن أخرى يجب أن تكون للمقدم أهلية كبرى وهو المسؤول عن الزاوية ويلقن الورد ويلقن سر الطريقة ويلقن فقه الطريقة وفقه العبادات وله باع في فقه المعاملات وغيره فلابد أن تكون له درجة في هذه الأهلية الخاصة حقيقة، والله أعلم، فهذا ما بدا للعبد الضعيف.

فقير: لو تحدثنا عن التوحيد الخاص

البيان: التوحيد الخاص من أصعب الأمور، فلا نستطيع أن نتوسع فيه الآن، ولكن أحاول أن أفسر لك ما أحسه العبد الضعيف حتى قلت أنه التوحيد الخاص، فالفقراء في تطاوين دائما ما يطلبون من الله ﷻ أن يثبتهم وأن يثبتنا جميعا على العقيدة، ما هي العقيدة؟، العقيدة هي أنهم يطلبون من الله أن يسترهم وأن يأخذ بيدهم وأن يميتهم على الطريقة التجانية وأن يميتهم على محبة الشيخ التجاني وحده وكما قال المادح:

اللِّـــي مِتْصَـــرِّفْ سِـــيدِي حْمِـــدْ فِـــــــي فَضْـــــــلَهْ نْعِـــــــدْ

وْمِـــنْ غِيـــرَهْ مَـــا نَعْـــرِفْ حَـــدْ اللِّـــي مِتْصَـــرِّفْ سِـــيدِي حْمِـــدْ

"ومن غيره ما نعرف حد" هي روح وسر الطريقة التجانية وهو باب عظيم يسمى باب تقصير الهمة على الشيخ ﷺ ولا يُسلِك في الطريقة التجانية أي لا

يوصل إلى حضرة الله ﷻ إلا من هذا الباب، وهو باب محبة وتقصير الهمة على الشيخ ﷺ، وكل من لم يربح في الطريقة التجانية فإنما خسر –أكرمه الله– من هذه النقطة، أي أنه لم يقصّر همته على سيدي أحمد التجاني ﷺ وحده، ومجرد الالتفات عن سيدي أحمد التجاني ﷺ هو نقص كبير في التربية، وهذا ما رأيناه فيهم

اللـــي متصـــرف ســـيدي حمـــد ومـــن غيـــره مـــا نعـــرف حـــد

ولكن ليس هذا ما قاله المادح فقط بل نحن نراه في سلوكهم وفي أنفاسهم، فهذا ما برز لنا في أنفاسهم وهو ما أعطاهم سر الطريقة وجعلهم يظهرون بالفتح الأكبر الذي عندهم، وسيدي الحاج القمار ﷺ وسيدي الحاج الأحسن ﷺ جعله من أكبر شروط الطريقة، وسيدي الحاج القمار ﷺ لا يحب لك قراءة كتب التصوف، وكذلك سيدي الحاج الأحسن ﷺ، وقد كان الفقير سيدي التلّيلي ﷺ وهو عالم من علماء جامع الزيتونة ومتقدم في السن ويقرأ جواهر المعاني في الزاوية، إلى أن وصل إلى موضع يقول فيه سيدي الحاج علي حرازم ﷺ مما هو معناه: "سيدي فلان وسيدي فلان **نَفَعَنَا الله بهم**"، فغضب سيدي الحاج القمار ﷺ وقال له: "قُل: **نَفِّعِ الله بهم**، فسيدي الحاج علي حرازم ﷺ يستطيع أن يقول للأولياء الذي سبقوا زمان سيدي أحمد التجاني ﷺ **نَفَعَنَا الله بهم**، ونحن لا نستطيع أن نقول ذلك"، ومن يومها حرمه قراءة الكتاب في الزاوية، وسيدي الحاج القمار ﷺ صعب وشجاع، وسيدي التلّيلي له مقامه ﷺ، ولكن ذلك أمر الله، وقد ظل سيدي الحاج القمار ﷺ ليلتها مشغول البال وابنه سيدي خالد ﷺ يسأله: ما الذي حصل؟، فيقول له: "أخشى على الفقراء أن يقع لهم الالتفات"، ومن الغد ألقى عليهم درسا في الموضوع ذاته، فقد كان ﷺ يخشى على الفقراء أن

يقع لهم الالتفات إلى سيدي الجنيد أو سيدي البسطامي ثم يقولوا لعل سيدي أحمد التجاني ﷺ ليس له مثل ما لهم، وحين ألقى عليهم الدرس، قام على ركبته ﷺ وقال للفقراء: الآن وفي هذه الزاوية بالذات هناك من جملة الفقراء الحاضرين من يتقابل مع رسول الله ﷺ يقظة وله كذا وكذا من الكرامات، وهو يعني نفسه جهارا، والفقراء يرتعدون من قوله، لماذا؟، لأن هذا هو التوحيد الخاص، ومن جملته أن لا تعرف إلا الله ﷻ ومن جملته أنك إن اتخذت الشيخ التجاني ﷺ فلا تلتفت يمينا ولا شمالا وأن تكون نيته فيه مليارا في المائة أن كل علومه هي علوم صحيحة وهذا هو الحق، ﷺ، ولهذا قال ساداتنا في تطاوين

ومـــــــن غيـــــــره مـــــــا نعـــــــرف حـــــــد

وذلك هو ذوق التوحيد الخاص.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة صفر 1434 هـ الموافق لديسمبر 2012م

تَعْلِيقَاتٌ على زِيَارَةِ تَطَاوِين صَفَر 1434هـ

البيان: بعض الذين لا يحبون مدح[12] الأولياء ومدح رسول الله ﷺ لا يقولون باستعمال البردة والهمزية بينما هما من أعظم ما كتب في الإسلام ففيهما تبويب وتنظيم للسنة النبوية الشريفة، وهذا ليكون جيل بعد جيل يستعملون نفس المنهج، وكذلك المذاكرة في الكتب كجواهر المعاني، وقد شاهدنا الإخوان في تطاوين يقرؤون الجواهر والإراءة وسوق الأسرار وفيهم صغار السن يحفظون فقرات من سوق الأسرار، فالعلم يُبثّ، وهذا هو الحق، فيُقال العلم ويُسمع بين الناس،

إنَّمَـــــا العِلـــــمُ كبحـــــرٍ زاخـــــرٍ

فاتَّخِـــذْ مـــن كـــلِّ شـــيءٍ أحسَـــنَهْ

ثم سمعنا بعض الأبيات من «الدرة الخريدة في شرح الياقوتة الفريدة» للعلامة سيدي مَحمد بن عبد الواحد السوسي النظيفي رضي الله عنه، وكذلك شرحها، وقد جعلوا منها مدحا، وفيها فقه الطريقة، وفيها التربية في الطريقة، وكذلك المحطات التاريخية

[12] **"أما إن ربك يحب المدح"** لأحمد والبخاري في الأدب والنسائي والحاكم في المستدرك الأسود بن سريع.
- **"لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل"** لأحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود.
- **"إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه"** للطبراني وللحاكم عن أسامة بن زيد.

في الطريقة وفي حياة الشيخ، وهي كذلك تُسمع، وخاصة من هؤلاء الناس الذين يحفظونها، فهم أناس فيهم عزم وفيهم قوة وفيهم ثبات وفيهم تقصير همة وفيهم أكثر من هذا كله ألا وهو الخدمة مع التواضع، فإذا ما زرت بعض زواياهم فيستقبلونكم والأقدام حافية، وهذا أمر عظيم، وهو نهاية التواضع[13]،"**مَن تواضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ**"[14]، والجميع هناك يعملون دون استثناء، فتجد المقدم فيهم وعمره تقريبا سبعون عاما أو أكثر ويلبس أحلى حلة ويحمل الأواني للضيوف بيده، وهو مقدم، {**نُّورٌ عَلَى نُورٍ**}[15]، وكثير من هذا كالمواعيد المضبوطة، فإذا وعدك بالحضور عند الساعة السابعة فلا يأتيك مثلا بعدها بخمس دقائق، مع القوة في المحافظة على الصلوات، وفي بعض الهيئات فإنك تشم روائح الصحابة [16]ﷺ، ومما يكون ذلك؟، من الصدق[17]، إذ تجدهم أناسا كلٌّ منشغل بنفسه لا بكثرة الحديث عن غيره، مع الابتسامة الدائمة، دلالة على أناس جدّيون، وهذا أمر عظيم، والإنسان يكون له

---

[13] **"إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة"** (الخرائطي في مكارم الأخلاق) عن ابن عباس

- **"طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه في غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله"** للبخاري في التاريخ البغوي الباوردي ابن قانع الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن عن ركب المصري.
- **"ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك دع حكمته"** للطبراني في الكبير عن ابن عباس البزار عن أبي هريرة.
- **"ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"** لأحمد في مسنده مسلم الترمذي عن أبي هريرة.
- **"من تواضع لله رفعه الله"** لأبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة
- **"من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى فلينظر إلى أبي ذر"** لأبي يعلى عن أبي هريرة
- **"من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن تواضع رفعه الله ومن تجبر قصمه الله"** (البزار) عن طلحة
- **"الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى"** (ابن أبي الدنيا في اليقين) عن يحيى بن أبي كثير مرسلا.
- انظر الملحق الخاص بالخشوع والتواضع: الاراءة الجزء الأول طبعة درب غلف ص 244.

[14] لأبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

[15] (35) سورة النـور

[16] **"إذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه"** للديلمي في مسند الفردوس عن أنس.

- **"دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم"** لأحمد عن أنس.
- **"السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا: بلى قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقا فسحقا فسحقا"** (مالك الشافعي لأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة.
- **"سألت ربي فيما تختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوء من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى"** (السجزي في الإبانة ابن عساكر) عن عمر

[17] انظر الملحق التكميلي عن الصدق من الاراءة الجزء الاول طبعة درب غلف ص262.

الشرف أن يرى هذا الأمر، وخاصة الصدق القوي، الذي يظهر معه سر الشيخ ﵁، وسر السنّة النبوية تراه جهارا

فقير: لو تعطونا سيدي كلمة بخصوص سيدي مَحمد بن عبد الواحد السوسي النظيفي ﵁

البيان: هو قطب من الأقطاب في زمانه وهو مزامن لسيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﵁، وله سر ومدد من سيدي الحاج الحسين اليفريني ﵁ الذي كان قطب زمانه ووقته ﵁، وهو الذي قال: "**رأيتُهُ فِي عالَمِ الخيالِ وقالَ لِي مَا لَكَ عِندِي يأتي**"، رأيته في عالم الخيال أي في عالم الأرواح، وقال لي ما لك عندي يأتي أي أن ما عندك إنما يأتيك من عندي وهو مدده ﵁ ونفعنا به آمين، وهو صاحب الخريدة، وقد قال عنه سيدي الحاج الأحسن ﵁ أنه قطب «بمدافعه وبفرقته» أي بجيوشه وبقوته وبعِدّه وعتاده وهو من أهل التصريف، وقبل انتقاله أوصى سيدي الحاج الأحسن ﵁ على ولده سيدي أحمد بن مَحمد بن عبد الواحد النظيفي ﵁، وكان سيدي الحاج الأحسن ﵁ كلما التقى بالفقراء يرشدهم ويعظهم فيما يخص هيللة يوم الجمعة والتي لا تكون أقل من الألف ويطنب في ذلك، ويَعلَمُ الفقراء أن ذلك الجمع من مشرب سيدي النظيفي ﵁، وقد قال سيدي الحاج القمار ﵁ أن سيدي النظيفي ﵁ عمره لم يقل لهم اذكروا الهيللة بثلاث مائة[18]، لم يقل هذا،

[18] قال في الشرب الصافي طبعة درب غلف الجزء الأول صفحة: (قوله وإلا فبحسب ما اصطلحت عليه أهل الدنيا قاطبة) – إلا النادر الذي لا حكم له – هو السرد ففي السرد ثلاث روايات: للسيد محمد ابن أبي النصر ألف، وعن بعض أركان الطريق ألف وست مائة، وصاحب الجامع ألف وخمس مائة فأكثر؛ وعن سيدي محمد الحافظ ألف واثنا عشر، وهو الذي اعتمده صاحب الجيش، كتب الشيخ ﵀ إلى السيد إبراهيم الرياحي: يلزمكم بعد عصر يوم الجمعة ألفان من لا إله إلا الله أو خمسة عشر مائة أو اثنا عشر مائة أو ألف ولا أقل من الألف، فهذه لفظة الشيخ ﵀. فلا أقل من الالف. فلا وجود له في الطريقة لا تلويحا ولا تصريحا فقول الجواهر بلا عدد يعني في الخمرة أو ما اصطلحت لخ يعني من عدد زائد عن الألف فلا عبرة بمن يذكر أقل من ثلاث مائة أو خمس مائة أو سبع مائة بحيث يقولون نتشاور في قدر العدد الذي نذكره وهو هوس فإن الطريقة محدودة بيد الرسول. ما ذكرت ذكرا إلا ما رتبه رسول الله. وهذا لازم الطريقة فلا ينبغي السكوت فلو سكت حفاظ الدين لرد من لا يتقي الله الصلوات الخمس إلى ركعة واحدة ويستعذر برخصة ورحمة على الأمة فهذه الطريقة عزمة فمن أرادها فليقبلها على ما هي عليه وإلا تركها، فالعمل إما على ألف أو اثني عشر أو على ستة عشر مائة وأما أن يسرد مع العصر إلى الغروب وإما ان يؤخر قدر ساعة ونصف للغروب ثم يستحب اتصالها بالغروب بلا مشقة فوقتها من العصر إلى الغروب فإن فاتت فلا تقضى الا ان فوتها ظلما فيقضيها على عادة النذر المعين بوقت فعليك بالبغية فإنها الغنية عن كل مطلوب ومجزئة عن كل تأليف في الطريق فلا عمل عندنا بما يخالفها وإنما لم يبين صاحب الجواهر هذه الروايات اتكالا على ما اصطلح عليه الشيخ وقته وهو الخمرة وبينا ما اصطلح أهل وقتنا وهو السرد فلا محيد عنه فما يخالف ما ها منا من بنائه الأمر على غير مشقة لا يحبه لبيب ولا عاقل فإن الفقراء لا حظ لهم في رسوم الطريقة إلا التعلق بها لا الزائد والنقص فمن زاد او نقص للفقراء عن الالف صار كأنه صلى الظهر ثلاثا فبطل الجميع فتجد الفقراء يقومون عند كمال ثلاث مائة وهو من اسمج ما يكون فيظن من شهوته

ولكن كانوا في زمان فيه الخوف مع بعد المسافة وغروب الشمس، فأذن لهم ﷺ أن يذكروا في الهيللة ثلاث مائة جماعةً وكل من كانت سكناه بعيدة فإنه يكمل بقية الهيللة على دابته فلا يقطع ذكره حتى يكمل الألفا والمائتين، فمن لم يفهم هذا اتخذوها عادة وقالوا بأن الهيللة ثلاث مائة، وقد كتب سيدي الأحسن ﷺ الكثير في هذا وأنها هيللة باطلة، ويستشهد برسالة الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ لسيدي إبراهيم الرياحي ﷺ والتي فيها "ولا أقل من الألف"[19]، فمن استحل أقل من الألف فقد حارب الشيخ ﷺ وحارب رسول الله ﷺ، وكان يؤكد على هذه المسألة ومن أتاها فليس من الطريقة في شيء، لأنه نقّص، وقد تقابل كل من سيدي الحاج القمار ﷺ وسيدي النظيفي ﷺ وأخذ عنه كذلك، وقد قال عنه سيدي الحاج القمار ﷺ أنه كان في آخر عمره ضريرا أو ربما ضعيف النظر جدا، فكان يخرج من مقصرورة الإمام إلى المحراب متتبعا الحائط بيده حتى ترك فيه أثرا لكثرة ذهابه ورواحه من المحراب إلى مقصورة الإمام، وقد قال سيدي الحاج القمار ﷺ أن سيدي النظيفي ﷺ أسقط حافظة أوراقه فسلمها له وطلب منه الإذن فأذنه مشافهة، وهو صاحب الخريدة وهي من أعظم الكتب في الطريقة وأصحها مع البغية وجواهر المعاني.

الجرح ان الطريقة من عندية الفقراء لا من الشيخ نعوذ بالله منه. اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته. وإنما اطنبت من غير قصد أحد مخافة الواقع واتساع الخرق فالطريقة معصومة محررة بالكتاب والسنة والنص من الشارع فأوصي جميع من تقيد بعهدنا أن يذكرها ألفا فصاعدا فلا يعتذر بالأهوال فإنه رجس من عمل الشيطان. فاجتنبوا العمل على اقل من الألف فإنه هلاك وفتنة وبدعة في الطريق فالحق لا يعرف بالرجال فالرجال هي التي تعرف بالحق ا.هـ

[19] الاراءة الجزء الثاني طبعة درب غلف ص73: **"وأقل ما يجب على المريد من الهيللة يوم الجمعة ألف رواية الخليفة الأعظم مولانا محمد بن أبي النصر العلوي عن الشيخ ﷺ أو إثنى عشر مائة رواية السيد محمد الحافظ الشنجيطي أو ستة عشر مائة عن السيد محمد الغالي رضي الله عنه وكتب سيدنا رضي الله عنه للإمام السيد إبراهيم الرياحي يلزمك بعد عصر يوم الجمعة ألفان من لا ألف فانظر قوله رضي الله عنه (ولا اقل من الألف) تجد فيه شفاء ما يلازمك وللضرورة أحكام تخلصها فالزواوي لا ضرورة فيها غالبا فاصف ترشد ومن نقص عن الألف فارق سنتها فالخير كله في الإتباع والشر كله في الابتداع لكن الفقراء أعذار مستبطنة لا يعلمها إلا الله"** ا.هـ

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة صفر 1434 هـ الموافق لديسمبر 2012م

وَأَمَّا مُجَاهَدَتُهُ

السارد: بسم الله والصلاة على رسول الله ﷺ، قال سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه في كتاب جواهر المعاني: وأمّا مجاهدته رضي الله عنه فاعلم أنّه لا خلاف بين أئمّة العصر ومَنْ أدركه من حال الشبيبة أنّه كان من المصطفين من عباد الله، وممّن نشأ في طاعة الله، وممّن هدى واجتبى إلى صراط الله. فهو رضي الله عنه من المجتهدين في الدّين والخائفين من ربّ العالمين، محافظا على التّقوى والورع، باذلا مجهوده في ذلك، قابضا عنان الخوض عمّا لا يعنيه سالكا أشرف المسالك، إلاّ أنّه بعدما شبّ وترعرع، وتضاعف نور قلبه وجاءه الفتح المبين من ربّه وارتفع، وقاده التوفيق الرّبّاني إلى البحث عن السر الإلهي الصمداني، فاشتغل بمطالعة كتب القوم وبالانكباب عليها، والتّدريس للعلوم والإفادة بها، حتّى انقطع إلى الله وتاقت همّته بالله فرفض جميع العلائق، ونبذ من ورائه أنواع العوائق، فزاده ذلك نورا على نوره، وارتقى بشهوده مرتبة أرباب الصّدور فقدْ أتى رضي الله عنه البيوت من أبوابها، وأخذ الطريق عن أربابها، فاستوجب بذلك الوراثة والإمامة، فلم يتقدّم في عصره أحد أمامه

البيان: فقد تقابل الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ يقظة لا مناما وأخذ عنه الطريقة كاملة وأخذ عنه ما أخذ من ورد ووظيفة وهيللة، فإنه لا

يُذكر بعد ذلك إلا إذن رسول الله ﷺ، وذلك لقوله ﷺ له: "**لا مِنَّة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك ومُمِدّك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق**". وقال له: "**الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتّى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة واترك عنك جميع الأولياء**"، فمن حين قال له ﷺ هذه القولة ترك جميع الطرق وترك الطلب من جميع الأولياء، فإنه بعد ذلك بالنسبة للعلماء أو المقدمين في الطريقة لا يُذكر عندهم كل الأسانيد التي كانت عنده ﷺ من قبل، فلا يُذكر إلا إذن رسول الله ﷺ، ولذا كل من ذكر هذه الأسانيد ظانا منه أنها طريقة علمية فإنه لم يصب الصواب لأن أمر تلك الأسانيد قد انتهى، فمنذ قال له ﷺ أنا شيخك، فإن كل ما عند الشيخ بالنسبة لنا لا يُعتمد فيه إلا إذن رسول الله ﷺ، وأما بقية الأسانيد التي كانت لدى الشيخ ﷺ قبل الطريقة التجانية فإنها كما قال سيدي الحاج محمد القمار ﷺ ربما يكون الشيخ قد أخذ بعضها صباحا والبعض الآخر مساء، لماذا؟، لأن مقامه عال جدا، وبالتالي فإن هذه الطرق لا تسعه فلا يذكرها، فقد يأخذ بعضها كما قلنا صباحا ويتركها ليمر لغيرها في المساء وهكذا، فلم يسلك به إلا عن طريق رسول الله ﷺ حقيقةً، فلا يُذكر إلا سند رسول الله ﷺ فيه، فعلى الإنسان أن ينتبه لهذا فقد يقول بعضهم في بعض المجالس: "وسنده في الطريقة الخَلوَتِية سيدي فلان..."، فهذا مرفوض، وقد كان شيخنا سيدي محمد القمار ﷺ يستشهد بهذه القولة "**قال الشيخ سيدي أحمد التجاني** ﷺ: **"ما ذكرتُ ذكرا إلا ما رتبه لي** ﷺ **فقال لي أنا شيخك ومربيك وكافلك**"، وهذا لنكون على بينة فلا يذكر الإنسان كل الأسانيد التي للشيخ ﷺ في بداية طريقه، وفي الحقيقة رأينا كثيرا من الإخوان ومن أحفاد الشيخ ﷺ ونفعنا بهم آمين، ومن أكابر المقدمين كذلك من يعتمد بعض الصلوات والأذكار معتقدا أنها من أكبر الأسرار في الطريقة التجانية، ولما جالسنا سيدي

محمد القمار ﷺ وعرضناها عليه وهي موجودة في الجواهر أو في غيره من الكتب ومما هو متداول بين الإخوان فكان ﷺ يعتبرها من الأمور التي تجاوزها الزمن جملة وتفصيلا، وكان يعلق عليها ﷺ بقوله: "هذا في أوّله" أي في أول حياة وسلوك الشيخ ﷺ ولم يقبلها كلها، ويحث الفقراء على الإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق والتعبد بها والسلوك بها إن كان هناك سلوك، وإن كان في طريقتنا ليس هناك سلوك ولكنه محض السنة، فسلوكنا هو اتباع محض السنة مع صفاء القلب، ويستشهد بقول الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ: "**نهيت أن أتوجه بالأسماء وأمرت بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق**"، وكل الأكابر يعلمون أنه ليس هنالك ما هو أعظم مما يتعبّد به من الصلاة على الرسول ﷺ عامة وخاصة صلاة الفاتح لما أغلق[20]، لمن علمها وذاقها وشاهدها كما هي مكتوبة، وبعض الأمور التي رأيناها من الشيخ ﷺ، فقد قال: من أدرك هذه فليس هناك ما هو أعلى منها"، إذًا فهذا في ما يخص الأسانيد والسند

السارد: فلم يتقدّم في عصره أحد أمامه، كما قيل:

فأصـــــبحَ عـــــينَ الوقـــــتِ والقـــــولُ قولُـــــهُ

ولا أحـــــدٌ فـــــي النّـــــاسِ يبلُـــــغُ قَـــــدْرَهُ

أخذ ﷺ في الجدّ والتشمير، والاعتزال عن الخلق والفرار منهم، واشتغل بما يخصّه من حقوق ربّه وما هو مطالب به من التّقوى والورع، وكان الناس يأتونه في بعض الأحيان للزيارة فلا يجِدُونَ فيه متّسعا لكثرة ما كان فيه من القبض، وإذا جاءه أحد ليقبل يديه يغضب ويأبى ذلك، وكان ﷺ يكره كثرة الكلام، شديد التحفّظ من الغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعني.

[20] **"كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم"** للديلمي في مسند الفردوس عن أنس وللبيهقي في الشعب عن علي موقوفا.

البيان: وهذه معلومة لدى الجميع وهي أنه في عصرنا هذا قد يكون لدى الناس شيء من القلق فيحبون التحدث وكثرة الكلام، دون أن يأخذ الإنسان حذره من هذا وكأنه من تحصيل الحاصل، فيجتهد في الغيبة ويغتاب غيره من الناس[21] مع النميمة والتفريق بين الأحباء ويقول ما لا يلزم قوله، فلا يشعر أنه قد أهلك نفسه وسلّط نفسه في نار جهنّم والعياذ بالله، وهي من أخطر الأمور وخاصة الغيبة والنميمة[22]، فأما الغيبة فهي كما قال ﷺ: "**الغيبةُ ذِكرُكَ أخاكَ بما يكره.**"[23]، وهي مسألة صعبة جدا لشاهد قوله ﷺ: "**إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا**"[24]، وأما النميمة فقد قال ﷺ: "**الكذب يسود الوجه والنميمة عذاب القبر**"[25]، والنمّام هو ذو الوجهين، قال ﷺ: "**من شرِّ الناس ذو الوجهين: الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ**"[26]، "**ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار**"[27]، "**إن من شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين**"[28]، وهو مما أصبح في المجتمعات وخاصة الإسلامية أمرا متداولا جدا سواء في المقاهي أو في المنزل، والناس لا يعتقدون أنها أمر عظيم ولكنها أمر صعب جدا فتُهلك صاحبها دون أن يشعر، ومنه أن بعض زوجاته ﷺ وقد تكون أمّنا عائشة، وصفت إحدى النساء جاءت تسأله ﷺ عن أمر بأنها قصيرة، فقال لها ﷺ مما هو معناه: قد

---

[21] - "**انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة منغمس فيها - يعني ماعزا**" لأبي داوود عن أبي هريرة.

[22] - "**نهى عن الغناء والاستماع إلى الغناء وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة وعن النميمة والاستماع إلى النميمة**" للطبراني في الكبير وللخطيب عن ابن عمر.

- "**كادت النميمة أن تكون سحرا**"، (ابن لال) عن أنس.

- "**ثمانية أبغض خليقة الله إليه يوم القيامة: السقارون وهم الكذابون والخيالون وهم المستكبرون والذين يكنزون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تخلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا والذين لا يشرف لهم طمع من الدنيا إلا استحلوه بأيمانهم وإن لم يكن لهم ذلك بحق والمشاؤون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة والباغون البرآء الدحضة أولئك يقذرهم الرحمن عز وجل**"، (أبو الشيخ في التوبيخ ابن عساكر) عن الوضين بن عطاء مرسلا.

- "**خيار أمتي الذين إذا رءوا ذكر الله وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العنت**"، لأحمد عن عبد الرحمن بن غنم وللطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت.

[23] لأبي داوود عن أبي هريرة.

[24] "**إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه**" (ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة أبو الشيخ في التوبيخ) عن جابر وأبي سعيد.

[25] للبيهقي في الشعب عن أبي برزة.

[26] لأبي داوود عن أبي هريرة.

[27] للطبراني في الأوسط عن سعد.

[28] للترمذي عن أبي هريرة.

اغتبتها، ومنه كان قوله ﷺ: "**أتدرون ما الغيبة؟ ذِكْرُكَ أخاك بما يكرهُ، إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَّتَّهُ**"[29]، وقد علق عليه سيدي الحاج القمار رضي الله عنه بقوله: هو بهتان عظيم، فيأخذ الإنسان حذره من هذا فلا يذكر غيره إلا بحسن أو فليسكت، وإذا كان الإنسان دائما هذا دأبه فتتضاعف وتتقوى تلك الأنوار التي يجدها من الذكر ومن الصلوات جماعة ومن الصلاة على النبي ﷺ، فإنها تتضاعف وتتضاعف حتى تبرز ويفتح الله ﷻ عليه، وما هو الفتح؟، إنما الفتح أن يكون قلبه متعلقا بالله، فذلك هو الفتح الأكبر، أو بالمقابل تتضاعف الأنوار عند الوظيفة وعند الذكر وتتلاشى عند الجلوس في المقهى وهكذا، فيبقى الإنسان مذبذبا وفي غاية التعب، كامل الباطن وكامل السعد ولكن على الإنسان أن يأخذ حذره من هذه النقاط، وخاصة الغيبة والنميمة، فيجتهد فيها لأنها من أمور النفس فهي صعبة، فيحارب ويجتهد في نفسه وفي غيره حتى يرتاح، ومن جملته أن تطلب عدم التحدث في الناس، كما قال ﷺ: "**لا يبلّغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا فإني أحبُّ أن أخرج إليكُم وأنا سليمُ الصدرِ**"[30]، وهكذا الفقير دائما فإذا رأى خيرا أذاعه وإذا رأى غير ذلك ستره[31] ."**إنَّ اللهَ تعالى حيِيٌّ ستِّيرٌ يُحبُّ الحياءَ والسِّترَ**"[32]، ولا يكون الإنسان كجار السوء الذي قال فيه ﷺ: "**تعوذوا بالله من ثلاثِ فَواقِرَ: جارُ سُوءٍ إن رأى خيرًا كتَمهُ وإن رأى شرًّا أذاعَهُ وَزوجَةُ سُوءٍ إن دخلتَ عليهَا لَسَّنَتْكَ وإن غبتَ عنها خانتكَ وإمامُ سُوءٍ إن أحسنتَ لَمْ يَقبَل وإن أسأتَ لم يَغفِر**"[33]، فإن رأى خيرًا كتَمهُ وإن رأى شرًّا أذاعَهُ فهذا من المهلكات والنبي ﷺ نهى عن ذلك لأنه يحب الستر، والمؤمن لا يتتبع عورة المؤمن وإنما يستره ويقول فيه خيرا دائما وأبدا، "**فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع**

---

[29] لأحمد مسلم أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة.

[30] لأحمد وأبو داوود والترمذي عن ابن مسعود.

[31] - "**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته**"

[32] "**إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**" لأحمد وأبو داوود والنسائي عن يعلى بن أمية.

[33] للبيهقي في الشعب عن أبي هريرة.

الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله"[34]، فعلى الإنسان أن يجتهد في الصمت والسكوت وفي أن يقول خيرا في كل ما يرى، وقد علّق الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ عن حديث "...**ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**" بقوله ﷺ: "**وتجنّبوا البحث عن عورات المسلمين، فإنّ مَن تتبّع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بَنِيهِ مِن بعده**"[35]، فليجتهد في هذا الأمر، قال ﷺ:"**إن الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ لا يَرَى بها بأسًا يهوِي بها سبعينَ خريفًا في النارِ**"[36]

السارد: وبالجملة، فالشيخ ﷺ من أعظم الأئمّة في وقته، وممّن أجمع العلماء على تعظيمه وتوقيره والاحترام له من غير مدافع ولا منازع من أرباب الصدق، وإليه انتهت رياسة هذا الشأن، وبه أحدق الأمر في تربية السالكين وتهذيب المريدين وكشف مشكلاتهم وكشف أحوالهم، ولم يكن أحد في عصرنا يبلغ ما بلغ، فهو شريف الأخلاق، لطيف الصّفات، كامل الأدب، جليل القدر، وافر العقل، دائم البِشْر، مخفوض الجناح، كثير التواضع، شديد الحياء، متّبع أحكام الشرع وآداب السّنة، محبّا لأهل الصلاح والفضل، مكرما لأرباب العلم، لم تَزِل به قدمُه ولم يُمِلْه هوى متّبع.

---

[34] **"يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله"** للترمذي عن ابن عمر.

[35] قال ﷺ في الجواهر: **"وعليكم بِصِلَةِ الأرحام من كلّ ما يطيب القلب ويوجب المحبّة ولو بتفقّد الحال وإلقاء السلام، وتجنّبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين وكلّ ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنّبوا البحث عن عورات المسلمين، فإنّ مَن تتبّع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بَنِيه من بعده ، وأكثروا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكلّ مؤمن، وآكد ذلك لِمَن آخاكم في الطريقة، فإنّ مَن عفا عن زلّة عفا الله له عن زلّات كثيرة، ومَن وقع فيكم بزلّة ثمّ جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله أعذاركم ويسامحكم في زلّاتكم، فإنّ أشرّ الإخوان عند الله مَن لا يقبل عذرا ولا يقيل عثرة . وتأمّلوا قولهﷺ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إلى قوله :وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وعليكم بالغفلة عن شرّ الناس وعدم المبالاة بما يجري منهم من شرور، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم، فإنّ مناقشة الناس عمّا يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار في الدنيا والآخرة. وكلّما دنوت بمقابلة شرّ بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور، فلا مقابلة للشرّ إلاّ الغفلة والعفو والمسامحة".** ا.هـ

[36] للترمذي وابن ماجه وللحاكم عن أبي هريرة.

والله أسأل أن يختم لنا بما ختم به لأوليائه، وأن يجعل خير أيّامنا وأسعدها يوم لقائه، بجاه نخبة أوليائه، وخلاصة أصفيائه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليما إلى يوم لقائه.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

القصرين في 9 جمادى الثانية 1433هـ الموافق 20 أفريل 2013م

المَدحُ عَظِيمٌ وَالمُذَاكَرَةُ أَعظَمُ

البيان: بارك الله فيكم وما شاء الله، وزيدوا في الحفظ وفي تناغم الأصوات مع عدم ارتفاع صوت الآلة بالمقارنة مع صوت الفرد لأن الصوت مع قوة الكلمات ومع صدق الحال عند قائله يبعث النشاط، وهو المدد، وهي الأمداد، فالأمداد كلها إنما قناطرها المحبة، فإن هاجت المحبة هاج الوجد والتواجد لدى الفقير فيزيد في أمداد المغنين في الترنيم، وبما أن المدح عظيم والمذاكرة أعظم فنقرأ ما تيسر من جواهر المعاني، فهناك من الفقراء من تكون التربية فيهم بالمدح زيادة في الذوق والمحبة، وحقيقةً تكون قوية، وهناك من تكون التربية فيهم أكثر بالعلم والمذاكرة، وهناك من يجمع بين الاثنين فيكون علما ومذاكرة ومدائحا، ومن أعظم المدائح البردة والهمزية للبوصيري فهما من أعظم ما مُدح بها المصطفى ﷺ وكذلك مدائح الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين، ونحن ولله الحمد بحرٌ واحد، فإذا مدحنا سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه فقد مدحنا النبي ﷺ ولكن على الإنسان أن يجعل قليلا من هنا وقليلا من هناك، لأن في البردة والهمزية تربية ووسيلة نبوية وعلم السنّة كاملاً.

السارد: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، قال شيخنا ﷺ وأرضاه ونفعنا به آمين في كتابه جواهر المعاني: وسألته ﷺ

البيان: هذا سيدي الحاج علي حرازم ﷺ يقول سألته ﷺ، وكما تعلمون فالعلم كله سؤال وجواب[37]، قال ﷺ: "**العلمُ خزائنُ ومفتاحها السؤالُ، فسَلُوا يرحمكُمُ اللهُ، فإنهُ يُؤجَرُ فيهِ أربعةٌ: السائلُ والمعلِّمُ والمستَمِعُ والُمحِبُّ لهم.**"[38]، ففيه ثواب عظيم لأنه مجلس علم، ومجلس العلم أعظم من كل المجالس.

السارد: وسألته ﷺ عن حقيقة المراقبة[39] والمشاهدة

البيان: مقامات الدين الثلاثة معلومة لديكم وهي المراقبة والمشاهدة والمعاينة، وسيدي الحاج علي حرازم ﷺ يسأل عن حقيقة الأمر لأنه يعلم أن الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ متحقق بتلك العلوم عن حقيقة الشيء

السارد: فأجاب ﷺ بما نصّه، قال: حقيقة المراقبة في حقّ أهل الحجاب هي المطلقة عند العارفين، وهي علم القلب باطّلاع الربّ عليه في كلّ لحظة، وبدوامها تقع المشاهدة.

البيان: إذًا بدوام المراقبة تقع التي تليها وهي أعلى منها ألا وهي المشاهدة، وأعلى منهما المعرفة والتحقق، والمراقبة هي علم العبد أن الله ﷻ مطلع عليه تمام الاطلاع، فإن علم العبد هذا ودام هذا العلم لديه أي علم العبد أن الله ﷻ مطلع

---

[37] **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}** (43) سورة النحل
{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (7) سورة الأنبياء

[38] تخريج السيوطي لأبي نعيم في الحلية عن علي.
"الداعي والمؤمن شريكان في الأجر والقارئ والمستمع في الأجر شريكان والعالم والمتعلم في الأجر شريكان" للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس.

[39] راجع الملحق التكميلي من الاراءة عن المراقبة

عليه، فتلك هي المراقبة، أي أنه مُراقَب من الله، فإن كان دائم العلم بهذه المراقبة انتقل إلى المشاهدة

السارد: وهناك مراقبة أخرى لا تكون إلاّ للعارفين، وهي استغراق العبد في المشاهدة القدسيّة بِمَحْوِ الغير والغيريّة علما وعملا وحالا وذوقا ومنازلة تحقّقا وتخلّقا وإحاطة

البيان: قوله ﷺ "بِمَحْوِ الغير والغيريّة علما وعملا وحالا وذوقا" المقصود منه أن يصبح العبد هنا يأخذ بالله ويعطي بالله ويتفكر بالله وقلبه كله في دائرة "الله" ﷻ، فلا يرى لا الأكوان ولا ما يرمز إليها ولا ما يشغله عن الحق ﷻ، فيكون مراقبا دائم المراقبة مشاهدا دائم المشاهدة ومستغرقا فيها، وأما قوله ﷺ "ومنازلة تحقّقا وتخلّقا وإحاطة" فالمراد منه أن يكون العبد في تمام الصحو وهو ليس بالكلام الذي يكتب أو يقرأ فقط وإنما يتذوقه وإنما هو حاله وهو ديدنه وهو عمله فينام عليه ويصحو عليه وقلبه دائما يطالع الحضرة القدسية سواء في نومه أو في يقظته، فهذا يسمى عارفا مستغرقا في حضرة القدس وهذا يكون تحقيقا لا سمعا أي على وجه الحقيقة فلا يظن العبد أنه إنما مجرد حديث يتحدث به

السارد: وحقيقة المشاهدة هي مطالعة القلب للجمال القدسيّ، والمشاهدة صفة العبد، والتجلّي صفة الربّ ﷻ

البيان: قوله "والمشاهدة صفة العبد، والتجلّي صفة الربّ ﷻ" فالعبد يشاهد الحضرة القدسية وجمال الحضرة القدسية، فإما أن يشاهدها عيانا أو يشاهدها في قلبه أو تتوضح له هذه الأمور تحققا، وأما التجلّي فهو صفة الربّ ﷻ أي أن الرب هو المتجلي على عبده والعبد يشاهد صفة ربه، فالتجلي هو الظهور وهو من صفات الله ﷻ على قلب عبده، لأن الإنسان لا يستطيع أن يكون مشاهدا إذا لم

يأذن الله ﷻ بأن يتجلى في قلبه، فلا يقدر العبد أن يعرف ربه بأي صفة كانت إلا إذا تجلى الله له بآثار تلك الصفة، فالعبد هو المشاهِد والرب ﷻ هو المتجلي الظاهر له، ولكلٍ أحواله وأذواقه

السارد: وهو معنى يتّصف به المتجلّي. انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه

البيان: وهو معنى يتّصف به المتجلّي ولا يتصف به المشاهد، فهذه حقيقة المراقبة

السارد: وسألته رضي الله عنه عن دائرة العارف

البيان: أي من يسمى عارفا وما معنى دائرته وكيف تكون دائرته، والإنسان إذا سمع مثل هذا السؤال فلا يستطيع أي واحد فينا أن يجيب عنه أو حتى أن يتلمّح إجابته، وهذا لكي تعرفوا دائرة معرفة الشيخ رضي الله عنه، فسيدي الحاج علي حرازم ليس له يد في العلوم الرسمية ولكنها إفاضات ربانية من مجالسة الشيخ رضي الله عنه مع صدقه رضي الله عنه

السارد: فأجاب رضي الله عنه بما نصّه، قال: اتّساع دائرة العارف إذا رفع إلى محلّ القرب أنّ لله صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة، كلّ صفة من هذه تحيط بجميع الوجود في آن واحد،

البيان: والوجود كله ليس الأرض فقط ولكنه ما لا يعلمه إلا الله ﷻ من المجرات والأكوان والمخلوقات والعوالم والتي لا يحد حدها ولا يعرف حصرها إلا الله ﷻ، فقد قال الشيخ البعقيلي [40] رضي الله عنه: "...فعوالم الله لا نهاية لها أبد الآبدين فالله خلاّق على الدّوام وقد أدرك كشف العارفين [41] منها مليارين من الشموس كلّ شمس

[40] كتاب إلجام الجهال بأسنة ألسنة الكمال لحبر الأمة الحاج الأحسن البعقيلي رحمه الله طبعة درب غلف ص8

[41] علق على هذه الجملة سيدي الحبيب بن حامد رحمه الله في أثناء زيارة سيدي محمد الكبير رحمه الله ابن سيدي الأحسن البعقيلي رحمه الله بقوله: قول سيدي الحاج الحسن رحمه الله أدرك "كشف العارفين" إنما يعني به نفسه. ا.هـ وقال سيدي الحبيب رحمه الله أيضا: علق عليها سيدي الحاج محمد

بعالَمِهاَ وما لم يدركه الكشف أعظم، ما نفذت كلمات ربّي أبد الآبدين ..." وقد قال سيدي محمد القمار ﵁: ويوجد أكثر من ذلك، أي أكثر من مليارين من الشموس، وقد أطلعني ربي عليها، أي أعرفها كما أعرف أبي وأمي، في نظرة واحدة، وهو الجوهر الفرد الذي لا يتجزأ، فالعارف إذا نظر إنما ينظر أطراف الدنيا من هنا ومن هناك في نظرة واحدة بكيفية لا تتجزأ

السارد: كلّ صفة من هذه تحيط بجميع الوجود في آن واحد، لا يختلف عليها اختلاط الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته

البيان: فالوجود كله تحيط به هذه الصفات جملة وتفصيلا في مرة واحدة فإن السمع لله ﷻ يسمع كل المخلوقات على اختلافها وعلى اختلاف ما تقول، فهذا ناعس وهذا يتكلم وهذا يضحك وهذا يدرّس وهذا يدرس، وهذه نملة تتحدث وهذا عصفور، على اختلاف الأنواع والأشكال، فيسمعها كلها في نفس واحد بوضوح، متجزئة ومجموعة، ولا يشغله صوت عن صوت ولا خاطر عن خاطر، فصفة السمع هذه إذا تجلى بها الله ﷻ فإنه يتجلى بها في العارف الكامل الكبير فيصبح كما قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﵁ يسمع خواطر المخلوقات كلها في آن واحد كالرعد القاصف، فأسمع ما يقول صالح وما يقول موريس وما تقول النملة وما تقول العقرب، وكلها في آن واحد ولا يشغلني خاطر عن خاطر.

وللملاحظة فقط فمن كان لديه نعاس فلينعس بعيدا عن مجلسنا هذا، لأنه يجب علينا أن نشجع بعضنا البعض، خاصة وأننا متشجعون بكم فقد أفرحتمونا بهذا المديح، ونحن نستمد من بعضنا البعض، والفرح ينشطنا، والله وحده من يعلم ما يراه الإنسان في فقير الشيخ لأنه أمر عظيم، فنحن نستمد منكم، فقووا لنا نيتنا جازاكم الله خيرا

القماري ﵁ بقوله: "لم يُحقق رضي الله عنه في هذه الشموس والعوالم، وإنما التفت فقط فشاهد مليارين من الشموس، فلو حقق لوجدها لا حدّ لها، فقد شاهد مليارين من الشموس في نفس واحد، ثم قال سيدي الحاج محمد القماري ﵁ ومازال ما هو أكثر من ذلك.

سيدي الخالد القمار ﷺ: وقد صادف أنْ أَكْثَرَ بعض الفقراء التثاؤب في مجلس سيدي محمد الكبير البعقيلي ﷺ فأمر بإخراجه من ذلك المجلس، وذلك بحضوري وحضور سيدي الحبيب

البيان: كلنا متعبون ونحتاج للراحة ولكن هذه الفرص لا تتكرر لنلتقي فيها مع بعضنا البعض، فالله هو الذي جمعنا ﷻ، فنفرح ببعضنا وندعو لبعضنا البعض

السارد: فإنّه يميّز كلّ فرد من ذلك على حدته تميّزا لا يختلط بغيره لا في سمعه ولا في بصره ولا في صفة من باقي صفاته.

البيان: فصفات الحق ﷻ من سميع وبصير ومتكلم وقادر وعالم، إذا أراد ﷻ أن يتجلى بصفة من صفاته على عبد من عباده فلا يقال كيف؟، فالقطب الكبير له من هذه الصفات، وهي تجل من تجليات الله ﷻ يظهر فيه صفة من صفاته فيصبح يسمع أو يتكلم كسيدنا موسى فهو كليم الله، فكيف يكلم الله؟، إنما الله هو الذي يتجلى فيه وهو المشاهد والمتكلم والسامع، وكذلك العارفون بالله والأقطاب

السارد: وهكذا العارف إذا رفعه إلى محلّ القرب يصير سمعه يسمع كسماع الحقّ باتّساع دائرته

البيان: فهذه هي "وسألته ﷺ عن دائرة العارف" فالعارف إذا رفعه الله إلى محل القرب فماذا يقع له؟، فإنه يصير يسمع بسماع الحق وتتسع دائرته باتساع معرفته، فنحن الآن مثلا نسمع بعضنا البعض كأصوات مختلطة، وأما العارف إذا رفعه الله إلى محل القرب فإنه يسمع بسماع الحق، فيسمع كل واحدةٍ لوحدها، فيحيط بالكون، ولذا يقول سيدي الحاج الأحسن ﷺ مما هو معناه: لا يأكل أحد في الأرض ولا في السماء إلا إذا أعطيته له بيدي، ولا يتنفس أحد في الأرض ولا في

السماء ولا في البحار إلا إذا بإذني، وخواطر المخلوقات كلها في رأسي كالرعد القاصف ولا يشغلني خاطر عن خاطر، فهذا يدل على أنه في محل هذا الارتفاع من محل القرب من الحضرة الإلهية ﷻ أصبح يسمع بسماع الحق، وهكذا يكون اتساع دائرة العارف

السارد: فإنّه في ضيق الدائرة لا يحمل إلاّ فردا واحدا من كلّ شيء لا في الألفاظ ولا في الذوات ولا في الحركات لضيق دائرته ووعائه، فإذا ارتفع إلى محلّ القرب اتّسعت دائرته باتّساع معروفه فحمل من الأكوان في الآن الواحد من الحركات والذوات والألفاظ ضرباً ما وسعه معروفه

البيان: وهذا كله بالله، "...**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه...**"[42] وفي رواية "**فإذا أحببته كُنْتُهُ**"

السارد: فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد، ولا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد، ولا تختلط عليه حركات الوجود في آن واحد، سمعا وبصراَ، وهكذا في قوله "ويده التي يبطش بها"، فإنّ بطشه يتّسع باتّساع القدرة الأزليّة، يقدر مثلا على أن يقوم الأرض كلّها في طرفة عين، وهكذا رجله التي يمشي بها

[42] إن الله تعالى قال: **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته** . للبخاري عن أبي هريرة.

البيان: وهذا معناه أنه يكون له من صفات الله ﷻ ما لو أراد به أن يجعل البحر في السماء لفعل أو أن يجعل السماء في البحر لفعل أو أن يقتل جميع الخلائق ويحييهم في نفس واحد لفعل ذلك كله بالله تعالى، وهذا معنى سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها، والعارف الكامل له هذه الصفات من عند الله تعالى

السارد: فإنّه يقدر أن يمشي الوجود برجله في طرفة عين، وهذا معنى الحديث: "**كنت سمعه**" الخ. ومعنى الرواية الأخرى: "**كُنْتُهُ**" معناه: كنت نائباَ عنه في جميع صفاتي، ومعناه يسمع بسمع الحقّ ويرى ببصر الحقّ، إلى آخر ما تقدّم. انتهى من إملائه علينا ﷺ وأرضاه.

البيان: فهذه دائرة العارف إذا اتسعت وإذا حمل إلى محل الارتفاع من القرب من الله ﷻ فيصبح له هذا التجلي من صفات الحق من القدرة ومن السمع ومن البصر ومن الكلام وغيره، فيستطيع أن يكلم الخلق كلهم في آن واحد في قلوبهم أو يكلم من شاء في قلبه جهارا

السارد: وسألته ﷺ عن حقيقة المعرفة بالله تعالى

البيان: ما هي حقيقة المعرفة؟ وهل هي ما نحن بصدد الحديث عنه أو أنها أمر آخر غير هذا نسمعه من الشيخ ﷺ أو أنها معرفة نتصورها نحن معرفة

السارد: فأجاب ﷺ به بقوله : المعرفة الحقيقيّة أخْذُ الله للعبد أخْذاً لا يعرف له أصلا ولا فصلا ولا سببا

البيان: أي لا يبقى له في وجوده لا وجود ولا عدم، ويصبح لا يعي بنفسه، فليس صاحيا وليس فانيا، ومأخوذ جملة وتفصيلا، فهذا يسمى عارفا فانيا تمام الفناء وصاحيا تمام الصحو كسندنا الأغر الشيخ سيدي الحاج القمار ﷺ فقد كان

دائما في هذه المقامات يصول ويجول بكل أريحية كلا شيء وكأنه يحمل ريشة أو أقل حملا من ذلك وهو في الحضرة الإلهية ﷻ وأرضاه ونفعنا به آمين

السارد: ولا يتعلّق فيه كيفيّة مخصوصة، ولا يبقى له شعور بحسّه

البيان: أي لا يبقى له شعور بحسه ولا يبقى له عدم شعور، ولا يعرف لماذا ولا كيف وإنما يؤخذ أخذة واحدة جملة وتفصيلا

السارد: ولا يبقى له شعور بحسّه وشواهده وممحوّاته ومشيئته وإرادته، بل تقع عن تجلّ إلهيّ ليس له بداية ولا غاية، ولا يوقّف له على حدّ ولا نهاية، ومحق العبد محقا لا يبقى له شعور بشيء ولا بعدم شعوره

البيان: أي أن اللفظ لا يعبر عن حقيقة ذلك الأخذ وإنما هو ذوق، فإما أن يعيش الإنسان هذا الأمر أو أنه يذوق منه شيئا مّا، وأما أن يعبر عن حقيقة ذلك فلا يستطيع الإنسان، فلا يبقى له شعور بحسه ولا بعدم شعوره بحسه

السارد: ولا بمحقه، ولا يميّز أصلا من فرعه ولا عكسه،

البيان: فلا يميز شيئا، لا حائطا ولا إنسانا ولا نورا، ولا أننا في مكان كذا من بلد كذا على كوكب كذا في مجلس كذا، فلا يستطيع أن يميز فيه، فينظر كيف ينظر ولا كيف هو فيصبح كله بالله، يتحرك بالله، ويمشي بالله

السارد: بل لا يعقل إلاّ من حيث الحقّ بالحقّ في الحقّ عن الحقّ.

البيان: فيصبح كله بالله تعالى، وأما من يراه ويتحدث إليه فيظن أنه بشر ككل البشر، ولكن في الحقيقة فذلك العبد كله مستغرق في حضرة الله فيتكلم ويمشي ويجيء ويتنفس بالله وغير واعٍ لما يصدر منه، فكله بالله، والطرف الآخر لا ينتبه لذلك فيظن أنه يتفاعل معه تفاعلا عاديا، بينما ذلك العبد قامت فيه شواهد

الحق ﷻ وأصبح بالله، والمفتوح عليه لابد أن يشم رائحته أو يلحس ما برز من ذلك العسل وأما العامة فلا ينظرونه إلا أمرا عاديا

السارد: فهذه المعرفة الحقيقيّة. ثمّ يفيض عليه من أنوار قدسه فيضا، فيعطيه كمال التمييز والتفضيل بين المراتب وخواصّها،

البيان: فهذه هي المعرفة الحقيقية، وهي أنه بعد هذا الجذب الكامل وبعد أن أفناه عن حسه وعدم حسه يفيض عليه فيوضات الحضرة الإلهية القدسية صاحيا فانيا كامل الفناء كامل الصحو يميز بين المراتب الحقية والخلقية تمييزا كاملا فيعرف كل مخلوق وما هي مرتبته وما يصلح حاله وما يهلكه وما يوصله إلى حضرة الله وما يحول بينه وبين الوصول إلى آخر ذلك, فيلمح ويربي ويعلم ويشير وينصح وربما يزجر وربما يمكر[43]، وكله بالله، عرفه من عرفه وجهله من جهله، حتى إذا ما تلاقى مع أي مخلوق ذبابةً كان أو قطا أو حتى سمكة فإنه يربيه بالله، ولا يتوقف عند شيء، فيكون في ترقٍ دائمٍ

فقير: سؤال: هل يكون دائما في هذه الحالة؟

البيان: إذا كان عارفا كاملا وأفيضت عليه فيوضات الصحو فقد انتهى الأمر فهو كامل مكمِّل لغيره يفيض فيضان الطوفان، وكما قلنا عرفه من عرفه وجهله من جهله، فمن تعرض له أخذ منه ومن تعرض له بالبغض هلك والعياذ بالله تعالى،

---

[43] {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (54) سورة آل عمران
{أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} (99) سورة الأعراف
{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (30) سورة الأنفال
{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } (21) سورة يونس
{وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} (42) سورة الرعد
{وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } (46) سورة إبراهيم
{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (50) سورة النمل

- قال ﷺ: **"رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر هداي إلي انصرني على من بغى علي; اللهم اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا إليك مخبتا إليك أواها منيبا; رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي"** لأحمد لأبي داود وللنسائي وللترمذي ولابن ماجه والحاكم عن ابن عباس.

وهكذا دائما، فلا تستطيع أن تمسك أو تتحكم في هذا الأمر فهو الزئبق، وكذلك العارف لا تستطيع أن تمسك به، لماذا؟ لأنه هو المتحكم فيك ولست أنت المتحكم فيه، فهو يتحكم في كل شيء ولا يتحكم شيء فيه، فكل من أراد أن يقنِّنه أو يضع له صفات أو أن يحصره في قالب معين فهو لم يصب عين الصواب، بل وربما تحير وربما تعب، فالمطلوب التسليم والمحبة والاتباع فقط

السارد: وما تعطيه حقائقها في جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، وتفصيل الصفات والأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها، وهذا التمييز يسمّى بالبقاء التامّ والصحو الكامل، والأصل الأوّل يسمّى بالفناء التامّ والصحو الكامل،

البيان: فمن الفناء التام إلى الصحو التام الممزوج بالفناء فيصبح ينظر كل الأمور من الأصل فلا يفكر ولا يتأمل وإنما إذا نطق فقد نطق بالحق

السارد: ولا قيام لهذا البقاء إلاّ بفناء الفناء الأوّل على أصله وقاعدته

البيان: أي حتى يفنى عن فناءه، فيكون قد فني فناء كاملا وجذبا كاملا في المعرفة بالله ثم يفنى عن فناءه ثم يصبح صاحيا أي يفنى عن أنه فان

السارد: ومتى انهدم الأوّل انهدم الثاني، والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه. فمن تحلّى بهذا الوصف المتقدّم صحّ له الظهور في الخلق والتقدّم عليهم

البيان: المقصود منه إذا حصل له هذا التجلي العظيم بالفناء التام حتى يذهل عن نفسه وعن حسه وعن شعوره وعن عدمه ثم فني عن فناءه ثم أفاض الله سبحانه وتعالى عليه من فيوضات بحور أنوار الحضرة القدسية وأصبح صاحيا جبلا راسيا ثابتا عالما فإنه يصح له أن يتنزل لتربية الخلق بالإشارة إلى ما هو مكنون في مرآته الباطنية فيشير على كل من قابله بإشارة لطيفة ربما فهمها فإن فهمها أخذ مطلع الربح منه، وإن لم يفهمها فذلك عمله وهو مكلف بالإشارة على حسب مرآته الباطنية فيشير

من الأصل لكل من أراد أن يصلح حاله وأن يربح فيشير عليه كيف يكون الربح في خاصة نفسه

السارد: وإليه يلقي المريد نفسه، ويقتفي آثاره ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ومعارضته ولو بقلبه،

البيان: لأنه يرشده من الأصل، فإذا نظر إليه نظر مرة فيعرف ما يصلح حاله وما يريده وما يعطله وما يحول بينه وبين الفتح وكيف يكون كل شيء، فلابد لمن كان هذا وصفه إذا وجده المريد أن يلقي إليه جميع أسلحته ويتبعه اتباعا كاملا، فإذا اتبعه اتباعا كاملا تنفعه إشاراته ولا يعترض عليه لا باللسان ولا بالعمل ولا بالقلب، فإن اعترض عليه ولو في أقل قليل ولو في قلبه تضرر، لأن هذا يسمى كزازة، فتحول تلك الكزازة بينه وبين الأنوار البارزة في قلب ذلك الشخص على قلبه فإن الحضرة الإلهية لها تجليات عظيمة في قلب رسول الله ﷺ ومن قلب رسول الله ﷺ إلى قلب القطب المكتوم رضي الله عنه وأرضاه، ومن قلب القطب المكتوم رضي الله عنه عبر الوسائط واحدا بعد واحد إلى آخر من لقنك إذا كان عارفا، ثم يكون الأمر في قلبك، فإن كان هناك أقل قليل من الكزازة أو الشك فإنه ينقطع المدد بذلك، ولذلك لابد من الاتباع والتسليم التام

السارد: فإذا فعل هذا سأل من محض فضل الله وكرمه بإظهار فقره ولسان ذلّه، وبجاه حبيبه ونبيّه أن يرحمه بالفتح الأكبر على يد قدوته، ومن لم يطلب الفتح من أبوابه طرد، ولم ينتفع بأسبابه.

البيان: كل واحد جعل الله فتحه على يد أحدهم، والفتوحات أنواع، وكل واحد جعل الله له من على يده يفتح الله عليه، فلا يقول "أحب أن يفتح الله علي على يد فلان أو فلان"، فهذه قسمة أزلية، وإنما يقبل اليد التي مدت إليه ويفرح

بها، ويطلب من الله ﷻ أن يستر أحواله وأن يعينه، وهذه هي غاية الأدب، فإن طلب ذلك من غير محله طرد

السارد: قال سيّدنا ﷺ: قاعدة، اعلم أنّ الفتح والوصول إلى الله في حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلاّ على يد أصحاب الإذن الخاصّ كإذن الرسالة

البيان: فلا يكون على يد أصحاب الإذن العام بل الفتح الرباني لا يكون إلا على يد العارف المأذون إذنا خاصا، هكذا أراد الله ﷻ

السارد: ومتى فُقِدَ الإذنُ الخاصّ لم يوجد من الله له فتح ولا وصول، وليس لصاحبه إلاّ التعب، ومن تعلّق بمطالعة كتب التصوّف وسار إلى الله بالنقل منها والأخذ عنها والرجوع إليها والتعويل عليها، ليس له من سيره إلاّ التعب، ولا يحصل له من الله شيء

البيان: فمن يعوّل على الكتب ومن يعوّل على نفسه ومن يعول على أجداده أو ما رآه من رؤيا صالحة مبشّرة، فإن هذا كله لا يوصله أبدا مهما أدرك ما أدرك أو ظن أنه أدرك، يستحيل ذلك إلا بواسطة شيخ واصل يرضى عنه، فإن رضي عنه أدخله وإن لم يرض عنه لم يدخله، فالله ﷻ هو الذي حكم بهذا.

السارد: ليس له من سيره إلاّ التعب، ولا يحصل له من الله شيء، نعني من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص، وأمّا الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه، والسلام.

بحمد الله

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

صفاقس في 10 جمادى الثانية 1433هـ الموافق 21 أفريل 2013م

رِسَالَةُ الشَّيْخِ ﵁ إِلَى بَعْضِ الطَلَبَةِ

البيان: بسم الله والصلاة على رسول الله ﷺ. مرحبا بالإخوان القادمين من "الحنشة" و"أولاد عمر". كنا قرأنا رسالة من رسائل الشيخ ﵁، وكنا نتحدث عن المقصود، مقصود الطريقة ومقصود الذكر ومقصود اتباع الشيوخ ﵁ وما نحن بصدده وما نحن بصدد فعله، وقد قلنا أن المقصود الأعلى والأسمى والأصلي والأول والآخر هو تعلق القلب بالله ﷻ، وذلك حتى يتعلق القلب حقيقة بالحق ﷻ، وحين طلبت من بعض الفقراء أن يقرأ لنا شيئا من كلام الشيخ ﵁، أخرج لنا هذه بِنِيَّةٍ، فانظروا ماذا خرج لنا من كلامه، وهذا ولله الحمد لتعلموا أن الشيخ ﵁ معنا ويساندنا ويشجعنا ويقوينا، فلابد للإنسان أن يأخذ هذا بعين الاعتبار ليتشجع أكثر ويواصل في طريقه ويتقدم ولا ينسى مثل هذه المسائل، لأننا مثلا نتحدث عن مسألة ما فيأتي الكلام بهذه القوة، فإن غفل الإنسان عن هذه الأمور فقد غفل عن مقامه وعن زاويته وعن شيوخه وهو إنما غفل عن نفسه لأن شيوخه قد عملوا ومرّوا، ولذلك نقرأ هذه الرسالة ولو ألفي مرة وذلك قليل، فالمهم أن يصبح للإنسان هذا الذوق فيدرب نفسه اليوم على أخيه في تطبيق هذه التوصيات، وقد كان الشيخ سيدي محمد القمار ﵁ يقول: "لنا بعض كلمات وقد قيلت، والآن يأتي

التطبيق"، لأن الصعب هو التطبيق، فليحاول الإنسان أن يجتهد كأن يقول: في هذا اليوم من الصباح إلى أن أنام سأحاول أن أصمت[44]، فربما لا يستطيع أن يتمالك نفسه عشر دقائق، فيتكلف الحديث مع غيره، والمراد منه كونه غافلا جدا عن الله، فلا يستطيع أن يبقى نصف ساعة وقلبه معلق بالله ﷻ وأن يدع الكون لخالقه بل لابد أن يتدخل، فارتح قليلا ولو لربع الساعة وقل سأصوم عن الكلام[45]، فلا يستطيع الإنسان ذلك لأنه كله غافل عن الله فكله مع الخلق وكله مع الأكوان وكله مع قضايا الزمان، ولذلك قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ وسيدي محمد القمار ﷺ فيما هو معناه: لا تشغل نفسك بقضايا الزمان لأن القصة بأكملها قد انتهت فكن ابن الأزل ولا تكن ابن الزمن **فإن السابقة هي اللاحقة** ولا تشغل لا فكرك ولا عقلك ولا روحك ولا أنفاسك بقضايا الزمان فإنه سراب[46] ومن يتبع السراب لا يجده شيئا، فلا يلومنّ الطريقة ولا الشيخ ﷺ، ولكن لا يلوم إلا نفسه فلابد على الإنسان أن يجتهد ليعلق قلبه بالله ﷻ حقيقة، حتى يصبح له ذلك الذوق وذلك الوصل حقيقيا وليس مجازا وليس كلاما يقرأ، وإنما يصبح له حالا بل ويصبح له أعلى من الحال، دائما، ولذا نقرأ تبركا بالإخوان الذين جاؤوا من أماكن بعيدة ونسأل الله أن يجازيهم بالإحسان، وفي هذه الرسالة توصيات من الشيخ ﷺ، فأما الوصية الأولى فهي عليك بالله في أمرك كله ثم أكل الحلال وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ وتعليق القلب بالله جملة وتفصيلا والصبر لمجاري الأقدار والرضا والفرح

---

[44] **"أربع لا يصبن إلا بعجب: الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء"** للطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس.

[45] **"أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمر كله وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض عليك بطول الصمت إلا في خير فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي أحب المساكين وجالسهم انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك صل قرابتك وإن قطعوك قل الحق وإن كان مرا لا تخف في الله لومة لائم ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي وكفى بالمرء عيبا أن يكون فيه ثلاث خصال أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ويستحي لهم مما هو فيه ويؤذي جليسه يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق"** عبد بن حميد في تفسيره للطبراني في الكبير عن أبي ذر
"الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة و واحد في الصمت" لابن عدي في الكامل وابن لال عن أبي هريرة.
"الصمت زين للعالم و ستر للجاهل" (أبو الشيخ) عن محرز بن زهير.
"العافية عشرة أجزاء تسعة في الصمت والعاشر في العزلة عن الناس" للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس.

[46] **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (39) سورة النـور

والتسليم للمقادير الإلهية وأن يكون الإنسان عبدا من عباد الله ﷻ وأن يوطّن قلبه على هذا الأمر وإذا فعله أصبح عبدا لله ﷻ لا عبدا للأكوان ولا عبدا لنفسه ولا عبدا للناس ولا عبدا لأي مخلوق، بينك وبين ربك، وهذا هو المقصود من المشائخ، {**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**}[47]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهذا هو معنى {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[48]، أي إلا ليعرفون

السارد: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، المرسل إليه بعض الطلبة

البيان: ونحن منهم، فما نحن إلا بعض طلبة الشيخ ﷺ، ولذلك فلتسمع من فم الشيخ ﷺ ولا تسمع من الكتاب، بل تخيل صورته أمامك، ولا تسمع من غريب أو من كتاب، فالشيخ ﷺ هو من يكلمك لا غيره، وهو بذاته، وهذه ليست بقصة تحكى وإنما هو حق

السارد: بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد فالذي أعظك به وأوصيك به عليك بالله عزّ وجلّ في سرّك وعلانيتك، بتصفية قلبك من مخالفة أمره، والتعويل على الله بقلبك

البيان: عليك بالتعويل على الله لا على الخلق ولا على الأسباب، ولا تقل ستصلح الأمور وستتحسن، بل عول على ربك وأتركها على الحال الذي جاءت عليه، تجده عسلا، وكما قدر لها أن تكون فقد كانت، ولكن انظر إلى الله ﷻ وعول عليه ولا تترك قلبك معلقا بالأسباب، فقد تجد بعضهم ست سنوات يتابع قصة لعلها تكون أو قد لا تكون، فيكون بذلك قد ضاعت من عمره ست

[47] (3) سورة نوح
[48] (56) سورة الذاريات

سنوات، فلو كان مع ربه لكان خيرا له، وأما غير ذلك فكائن لا محالة ولا تبديل فيه

السارد: والرضا بحكمه في جميع أمورك، والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك، واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله، على قدر الاستطاعة بحضور قلبك، فهو معين لك على ما أوصيتك به

البيان: على الإنسان أن لا يتسخط الأقدار ولا يشتكي منها، كالمرض والتجارة، في حين أن الله هو الحاكم في الأمر كله، فعلى الإنسان أن يصبر، وأن يطلب ربه مع اتخاذ الأسباب وأن يفعل الخيرات ويأتي الصدقات وأن يتوجه إلى أبواب الخير كالصلاة على رسول الله ﷺ وإرضاء الوالدين على قدر ما أوتي من طاقة، كتقبيل يد وجبين وساقين وأن يحسن للجار وإن أخطأ عليه أن يحدث لكل ذنب توبة[49]، وتكون توبة خاصة بذلك الذنب وإن فعله ألف مرة، فيطعم الطعام ويصفي قلبه ويدعو لجميع المؤمنين كلهم بالخير، وهنا يكون الاجتهاد ويترك الباقي كله على الله فيكون في عبادة

السارد: واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله، على قدر الاستطاعة بحضور قلبك، فهو معين لك على ما أوصيتك به، وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وعائدة، هي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مع حضور القلب

البيان: وما معنى حضور القلب؟، فكون الصلاة على رسول الله ﷺ من أكبر وأعظم العبادات فهذا علم كالشمس لا يحتاج لبيان ولا لتبيين، وأما حضور القلب فهو أن تشخص ذات رسول الله ﷺ أمامك وأنك أنت بين يديه لتصلي

[49] **"إذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية"** لأحمد في الزهد عن عطاء مرسلا.
"الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له" للطبراني في الكبير وأبي نعيم في الحلية عن أبي سعيد الأنصاري.

عليه وذلك إلى أن تستقر الصورة في قلبك وبين عينيك وفي بصيرتك عيانا لا وهما ولا تخيلا ويصير ذلك حالك دائما وكلما صليت عليه إلا ورأيت صورته الكريمة، وهذا هو معنى "بحضور القلب" أي اعلم أنك تصلي على الحبيب المصطفى سيد الخلق أجمعين ﷺ وأنك جالس بين يديه بكل وقار وكل توبة وكل تسليم فإذا فعلته أدركتك أنوار خاصة، ثم إنك تتأمل في ألفاظ الذكر، لابد فانظر ما جاء به صاحب الإراءة في جزئه الثاني في ذكر الشروط الكمالية لصلاة الفاتح لما أغلق فمن ذكرها بشروطها الكمالية وتعقلها مرة بعد مرة فإن له الثواب الكامل للاسم الأعظم، نصف صباحا ونصف مساء، وخاصة من لهم أسبقية في الدخول للطريقة ونعرف هذه الشروط جيدا، فمن منا يستحضر الشروط العشرة أمامه؟، قليل من يفعل ذلك، بل وبعضهم يحدثك عن دخوله الطريقة منذ عشرات السنوات وأنه تقابل مع سيدي فلان مثلا، ولكن السؤال الأهم: هل أنت متبع لما أوصاك به سيدي فلان أو لا؟، فالمسألة ليست مسألة أقدمية وإنما هي مسألة تحديد النيات مع صفاء القلوب والصدق[50]، فعلى الإنسان أن يراجع نفسه في كل يوم ويسأل نَفْسَه في كل نَفَسٍ: **هل أنا مع الله أو مع نَفْسِي؟**، وما يهمنا هنا هو أن أنجي نفسي بيني وبين الحق ﷻ

السارد: وأكبر ذكر الله ﷻ فائدة وأعظمه جدوى وعائدة، هي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مع حضور القلب، فإنها متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة، دفعا وجلبا في كل شيء

البيان: متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة، دفعا وجلبا، جلبا ودفعا، فها أنك لك التصريف الكامل ولكن عليك فقط أن تعبد ربك ﷻ وتصفي قلبك وتكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ فلا تحتاج لغير هذا،

[50] قال سيدي الحبيب ﷺ لبعض الفقراء: **"ليست العبرة بمن سَبَقَ ولكن العبرة بمن صَدَقَ"**

السارد: وإن من أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله.

البيان: إن أردت أن تكون من أكبر أصفياء[51] الله ﷻ فصفّ قلبك وأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ وارتح وكن عبدا لله، تقرأ أورادك في أوقاتها وتصلي صلواتك في أوقاتها على هيأة الكمال والتعلق بالله وكن عبدا حرا بربه، غنيا بربه، متوكلا على ربه، ابن الأزل، لا يخاف شيئا، متوجها إلى الله ﷻ، حرا طليقا، مسرورا أنيسا مؤنسا مستأنسا بالله فرحا ناشطا صابرا لجميع مجاري الأقدار، محل نظره وجه الشيخ رضي الله عنه ووجه النبي ﷺ، عامي لا يُؤبَهُ له[52]، وهذا هو المقام الذي يريد سيدي محمد القمار رضي الله عنه أن يضعنا فيه وأن نرسخ فيه، ولا كلام غير هذا، بل ويكون ذوقا وتحقيقا وحقيقة

السارد: والأمر الثّاني مما أوصيك به، ترك المحرمات الماليّة شرعا، أكلا ولباسا ومسكنا،

البيان: وهو أكل الحلال[53]، ومنه يكون الدعاء مستجابا مباشرة، وأما إن كان الإنسان في مقامه المعلوم ولا يأكل الحلال فذلك من أصعب الأمور، فلا تقل تعطّلت إجابة دعائي، وإنما كُلْ حلالا، أو نقّ رزقك من كل مشوب، ومن كان له رزق وفيها أموال حرام فتوجد الفتاوى التي يعرف بها كيف يخرج من ذلك الحرام، فيسأل ثم يطهر ماله ويتبع الطريق، فلو كانت له ثروة واختلطت بالحرام فلا يرمي بها كلها في الوادي بل يسأل الفقهاء والعلماء يخبرونه عما يجب فعله وليبدأ من جديد، فلم يطلب منك أحد أن تضيع دارك وأولادك وتلقي بكل شيء في الشارع، ولكن لابد من أكل الحلال، فإذا تعثرت وتعطلت إجابة دعائك فاعلم أن هناك ما يريب في حلالك

---

[51] **"خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل."** للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس.

[52] **"كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك"** للترمذي والضياء عن أنس

[53] {**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**} (24) سورة عبس

السارد: فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات، ومن ضيّعه ضيّع فائدة العبادة، وإياك أن تقول أين تجده؟ فإنّه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان، لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهرا أو باطنا، ومراعاة ضرورة الوقت، إن لم يوجد الحلال الصريح، وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق، واتساع معرفة بالأحكام الشرعيّة، ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال. والأمر الذي لابدّ منه بعد هذا، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها، وهو تعلّق القلب بالله تعالى

البيان: بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلّق القلب بالله تعالى، وعلى الإنسان أن يكتب هذه الجملة على ورقة ويعلقها ليقرأها عديد المرات في كل يوم، فهل أن قلبي متعلق بالله أو متعلق بفلان وفلانة، فلينظر الإنسان إلى نفسه، فالقلب يجب أن يكون متعلقا بالله، وأما الفعل والجسد فيتوجه للأسباب العادية فذاك أمر طبيعي، ولكن لا يتعلق بغير الله، فهذا سر بينك وبين نفسك، وهو أن قلبك مع ربك، ولا يكون إلا معولا عليه، وأما الأسباب العاديات فجميعنا نسعى خلفها من الصباح إلى المساء، فتلك هي الحياة ولكن القلب لا يعول على هذه الأمور بل يعول على الله، فهذا شرك وكفر عند العارفين بالله تعالى إن عوّلت على غير الله تعالى، ولذا علينا أن نرتاح ونريح قلبنا وفكرنا وأجسادنا ونعوّل على الله

السارد: والأمر الذي لابدّ منه بعد هذا، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها، وهو تعلّق القلب بالله تعالى، بالانحياش إليه والرّجوع إليه وترك كل ما سواه عموما أو خصوصا، فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه، وعلى كل حال بحركة القلب حسّا فهو الغاية

البيان: وهذا كلام الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ، وهو الغاية وغاية الغايات، وهو كيف تعرف ربك، وإلا فإن الإنسان يفني عمره كاملا مع غير الله،

تبدأ بالدراسة وتشغل بالنجاح ثم إن أكملت دراستك فتشغل بالباكالوريا، وإن نجحت تشغل بالبحث عن عمل، وإن أصبت عملا تشغل بالبحث عن الترقية في العمل، ثم تشغل بالزواج إلى أن تتزوج، ثم إن تزوجت تشغل حتى تنجب أطفالا، وإن أنجبت أطفالا تشغل بتربيتهم وإيصالهم إلى مرحلة المراهقة ثم إلى أن يتجاوزوها، ثم تشغل بصحتك في آخر عمرك وهكذا، والمراد من هذا كله أن العبد معوّل على غير الله، فإن كان هذا حال الدنيا، فأرِح نفسك وخذ الأمور ببساطة، واجتهد على قدر الإمكان، ودعها حتى تقع

السارد: وإن لم يقدر فيلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا، ثم يمرّ به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه، يصير له ذلك حالا. والدعاء هو هذا:

البيان: هذا الدعاء لمن لم يقدر على ارتحال القلب إلى الله، فعليه به ثلاث مرات أو سبعا بعد كل صلاة وليتأمل في معانيه حتى يعينه على توجيه قلبه كما ينبغي إلى الله تعالى

اللهم عليك معوّلي، وبك ملاذي وإليك التجائي، وعليك توكّلي وبك ثقتي، وعلى حولك وقوّتك اعتمادي، وبجميع مجاري أحكامك رضائي، وبإقراري بسريان قيّوميتك في كل شيء، وعدم احتمال خروج شيء دقّ أو جلّ عن علمك وقهرك حتّى لحظة سكوني. اهـ

فهذا يرجع الأمر كله إلى أصله إلى الله ﷻ إلى الحق تعالى واعترف بالعجز والضعف واعترف بأنه عبد مقهور بين يدي الحق وأنه تجري عليه مجاري الأقدار ككل مخلوق ولا يخرج شيء عن هذا إلى لحظة لقاءه، فمن قال هذا الدعاء فقد اعترف بذلك

السارد: فإذا داوم عليه، كلما رأى من أحوال النّفس ما لا يطابق هذا الدّعاء، ذكّر نفسه بمعاني هذا الدّعاء وصبر على حمل نفسه، سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى ويرفض كل ما سواه.

البيان: لأنه ليس من السهل أن يتعلق القلب بالله تعالى ولكنه يكون برفض كل ما سواه

السارد: وهذا باب كبير من العلم، يعلمه من ذاق شيء من علوم الرجال

البيان: فكل الشيوخ رضي الله عنهم يدلّون على هذا الباب وهذه هي التربية الحقيقية، فالشيوخ كلهم أهل الله الكمّال وهم الذين سخّرهم الله لنا ليدلّونا على هذا الباب، فهذا أعلى المقامات في الدين وليس ما هو أعلى من هذا، وهو تعلق القلب بالله مع التسليم وعدم الانزعاج من مجاري الأقدار، فلا يتشتت الإنسان من أقل قليل، هذا غير معقول بالمرة، بل على الإنسان أن يصبر للأقدار ويثبت ويرضى ويسلّم ويستسلم ويفرح ولا يشتكي، فلا تستخفّه السراء ولا تنال منه الضراء، فيكون عبدا من عباد الله واقفا كما ينبغي وراء النبي ﷺ ووراء الشيخ رضي الله عنه فيعطى من تلك القوة ويكون ناشطا ولابد أن يكون ثابتا ومن الصابرين[54]

السارد: وهذا باب كبير من العلم، يعلمه من ذاق شيء من علوم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله،

البيان: أي فيه علوم الرجال والمقصود من أراد أن يكون في درجة عليا

السارد: وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة، فإن العمر قصير، والسفر طويل، والعقبة كؤود، والحمل ثقيل، والحساب بين يدي الله شديد. والعمل بأمر الله هو المنجي من جميع هذه الأمور.

[54] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (153) سورة البقرة

البيان: المراد منه أن لا يضيع الإنسان أنفاسه في لا شيء كالأمور البسيطة، فإنك تتلاشى أمام المولى ﷻ، فقد تجد أحدهم في الثلاثينات أو الأربعينيات أو ربما الخمسينيات من عمره وهو يولول لأقل وخزة شوك أو لذهاب بعض تجارته، وهذا خطأ، كلها أمور بسيطة نمر عليها مرور الكرام ولا نقف عندها، فإن العمر قصير، والسفر طويل، والعقبة كؤود، والحمل ثقيل، والحساب بين يدي الله شديد، وأما دارك وسيارتك وتجارتك فإنك تاركها لا محالة، فأقبل على ربك، واحمد الله على أن جعل لك مشائخ أفنوا أعمارهم في مثل هذا الأمر

السارد: قال الشيخ الصالح الصدر المبرز العارف بالله سيدي محمد بن السّماك رضي الله عن شيخنا وعنه: من أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه برحمته، وصرف وجوه النّاس إليه.

البيان: وصرف وجوه النّاس إليه بالمحبة والاحترام والتعظيم والهمة والإعانة لأنه وجّه كلّه وجزؤه إلى الله فوجّه الله جميع الخلق لخدمته وإعانته وحفظه من شرور جميع المخلوقات، وإن ظهر فإنه لابد أن يكون منصورا من الله لأنه ما عوّل إلاّ على ربّه، وإن كان الكلام لسيدنا محمد السمّاك فإننا نسمعه من شيخنا لأنه استشهد به ولأن الأصل هو الشيخ هو سيدي أحمد التجاني ﷺ، وهو القائل في ما معناه: "**لا يشرب أحد من الأولياء ولا يسقى إلا من بحرنا من أول نشأة العالم إلى النفخ في الصور**" وقال: "**كل الشيوخ أخذوا عني في الغيب**" فنأخذ هذه الكلمة من فم الشيخ ﷺ وإن كان لسيدي محمد السمّاك هذه المنزلة وهي أن استشهد به الشيخ ﷺ ولكننا لا نلتفت إلى مخلوق أبدا مع احترامهم وتعظيمهم

السارد: ومن أعرض عن الله، أعرض الله عنه جملة ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتا ما. والحاصل عليك بالله برفض ما سواه، وإذا ابتليت بمعاملة النّاس ومخالطتهم[55]

البيان: أي إذا ابتليت بكثرة معاملة النّاس وكثرة مخالطتهم وكثرة الحديث معهم وكثرة الهرج وأدناه هذه الهواتف النقالة، فإن الإنسان لا يجد الراحة أبدا وقس عليه أن الأنفاس ضائعة، ففيه شغل للفكر والقلب والروح وحتى الجسد يفنى لدرجة أنه في آخر اليوم لا يستطيع حتى أن يستحضر معاني الذكر، بل ربما لا يعي ما يقول، لماذا؟، لأن الدنيا والأكوان عموما تسحبنا نحوها فعلى الإنسان أن يسحب نفسه إلى القبلة بأن يتوجّه بكليته إلى الله، وكيف يكون ذلك؟، برفض كل ما سواه وبأخذ كل شيء من يد الله[56]

السارد: وإذا ابتليت بمعاملة النّاس ومخالطتهم فخالطهم وعاملهم لله، فإن الله يحب الإحسان إلى خلقه، وأكبر ما أحضّك عليه، هو كثرة الصلاة بحضور القلب على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فهو الكنز الأعظم والذخر الأفخم. والسلام.

[55] **"المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"** لأحمد والبخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر.

[56] {**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**} (10) سورة الفتح

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة في 26 ربيع الأول 1431هـ الموافق لـ 12 مارس 2010م

كَتَبْتُ بَيْتَانِ

البيان: من أراد أن يستنتج أو يستنبط من حياة الشيخ سيدي محمد القمار ﵁ فذلك يكون كمرحلة ثانية، وأما المرحلة الأولى فهي ضبط كل رواية عنه وكل ما رأيناه وشاهده وعاينه عنه أو ما سمعه منه الفقراء أو كذلك من أقواله وأفعاله ومواقفه وأخلاقه وورعه وزهده وأفكاره وما يذكره بين اليوم والليلة، فإذا ما وصلنا إلى إنجاز هذه المرحلة تكون خدمة للأجيال الحالية والقادمة والذين يسمعون بسيدي محمد القمار ﵁، وذلك ليربحوا، ففي هذا كله روح الطريقة الأصلية الحقيقية، وذلك هو السبب في شدة ظهور أنوارها لأنه كما هو حال سيدي الأحسن ﵁ في غاية التمسك بروح الطريقة التجانية كما ينبغي ولم يحيدا عنها، وهو طريق واصل موصّل وفي غاية السرعة، فكل ما سنكتبه سيكون ليعرف الناس منه كيف كان الرجل، وأما بعد ذلك فلو أراد بعضهم إنجاز دراسة أو بحث فتلك مرحلة أخرى، ولكن المرحلة الأولى هي ضبط ما هو موجود، كما كان الرجل، لأنه ما زال (طازجا) بيننا، ومن ذلك نذكر بعضهم حين قال: وسألته عن التصوف، فقال لي: "**التصوف أن تبدأ من سيدي الحاج الأحسن ﵁ وتقصّر**"، وهي قولة عجيبة يكتب فيها كتاب كامل، وهنا تظهر منزلة الرجل وقوة معرفته بربه وهو منهج كامل

في التربية كمربٍ مع رؤيته في التربية، فهنا يكون ضبط ما قاله ثم يكون الاستنباط، ونحن ولله الحمد لنا الإذن في هذا الأمر، وقد قال لي: "حين تكتب كتابا قل قال فلان"، وإن كان في البداية لا يسمح لي أن أكتب، قائلا: ماذا تدوّن ونحن ليس لنا إلا ما كتب سيدي الحاج الأحسن ﵁، ورغم أني عمري لم أخالفه أبدا ولكن في هذه المسألة بالذات فإن قلبي لم يطاوعني في ترك الكتابة فكنت أستغفر الله وأكتب، إلى أن قال لي في الأخير: **"حين تكتب كتابا فقل: قال فلان وسيأتي يوم يقول الناس: كان فلان"**، وسيدي محمد القمار ﵁ آية من آيات الله العظام، ونحن مع بلوغنا الخمسينيات من العمر بدأنا ندرك قليلا فقليلا من هو سيدي محمد القمار ﵁ وسيظهر ذلك أكثر في الستينيات من العمر إن شاء الله، فيبدأ الإنسان في تذوق الأشياء والأذواق العالية التي كانت لديه ويشق المسافات البعيدة ويقابل الناس ويقارن بين العارفين الأكابر في الطريقة حتى يعرف من هو سيدي محمد القمار ﵁ والحمد لله على ذلك، ورضي الله عنه وأرضاه عنا ونفعنا به آمين،

سيدي خالد ابن سيدي محمد القمار ﵁: كان دائما يحدثنا عن حجه، وكنت أقول لماذا يحدثنا كثيرا عن الحج؟، وما ذلك إلا من باب تعظيمه للحج ولشعائر الله[57]، فليست مجرد حجة أداها وانتهى الأمر

البيان: ومما قاله ﵁:

كَتَبْـــتُ بَيْتَـــانِ وَالخَـــطُّ يَشْـــهَدُ لِـــي

بِـــأَنَّ اللهَ وَاحِـــدٌ فِـــي مُلْكِـــهِ

وَأَنَّ رَسُـــولَ اللهِ مُحَمَّـــدٌ

لَـــيْسَ نَبِـــيٌّ بَعْـــدَهُ فِـــي أَزَلِـــهِ

[57] {ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} (32) سورة الحج

وهذان البيتان والله أعلم قد يكونان من نظم الشيخ سيدي محمد القمار ﷺ والله أعلم

سيدي خالد ابن سيدي محمد القمار ﷺ: سألني بعض الفقراء إن كان والدنا سيدي محمد القمار ﷺ صعب الطباع معنا ويضربنا ونحن أطفال، فأجبته بأنه عمره لم يرفع يده على واحد من أولاده أو بناته

البيان: سيدي محمد القمار ﷺ بعد تثبيت الفقير وبعد صدقه وتشبثه بالصدق والاستقامة والمبادئ العامة التي يجب أن يكون عليها، ومع الهمم العاليات فإنه بدفعة أو دفعتين إلى الأمام يغرقه في معرفة ربه ﷻ فلا تسأل عنه بعد ذلك، ولكن بعض الناس يظنون عكس ذلك لكونه لا يأذن كثيرا في الأذكار الخاصة، ولكنه في الحقيقة يعلّم محبة الذات وفي طرفة عين وخاصة مع التقدم في السن، فيملئ ذاتك حتى لا يفارقك بعد ذلك، فأينما تولّي لا ترى غيره[58]، ومازال ما هو أكثر من هذا، ومن ظن أنه عرف سيدي محمد القمار ﷺ فقد أخطأ، مع أن الفقراء كلهم عرفوه ولكن مازالت فيه أمور أخرى غاية في البعد ولا تدرك بسهولة، إذ لا حد له، فهذا أمر الله ﷻ، والقطب كما قرأنا إنما يتصرف بما شرب من عبودية مورّثه، ولهذا لا نقرأ كتب التصوف، فليس الأمر سيان بين الطريقة الأولى والثانية، فهذا بحر وذاك بحر آخر، فمن يقرأ كتب التصوف وكتب السلف الصالح يتعمّش ولا يصفو له المشرب كما ينبغي، فلا يكاد يبصر الخيط الرفيع كما ينبغي، حاله حال المريض بعينيه لا يكاد يرى بهما شيئا، ولهذا قال له ﷺ: **"التصوف أن تبدأ من سيدي الحاج الأحسن وتقصّر"**، أي أن تقصر همتك، ولهذا كان يقول ﷺ: **"كل الكتب عالية ولكن ما عندنا أعلى"**، ولذلك تجد حتى أولاد سيدي الحاج الأحسن ﷺ إذا ما سمعوا كلام سيدي محمد القمار ﷺ ويرون تلاميذه فإنه

[58] {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (115) سورة البقرة

يفرحون بذلك، ونسأل الله أن يوفقنا لهذا الأمر لأن فيه خدمة لجيل كامل، ونحن بصدد التعاون عليه مع بعضنا البعض، وستتوارثها أجيال بعد أجيال، وهو عمل عمر كامل بأن ترسخها وتنظمها وتأطرها وتريها للناس بالأقوال والأفعال وبالنفحات الربانية وبالكتابة كذلك، وهو جهد يستغرق سنوات من الثبات والدرجات العالية لكي تصل هذه الخدمة للناس طاهرة زكية نقية لكي يربحوا بها، ثم بعد ذلك تتفشى الطريقة الأصلية في العالم، وهكذا يكون تجديد الدين، وكلمة "تجديد" قد تبدو كلمة كبيرة ولكنها بسيطة، ولهذا قال بعض الفقراء: نسأل الله أن يقوي المدد، فقلت له أتدري ما المدد؟، إنما المدد أن تعمل عملا جبارا عظيم القدر بكل راحة وبأمور بسيطة وتكون لك نظرة شاملة ورؤية واضحة، وهذه الخدمة الجبارة قد لا يفهمها جيلك أو ربما حتى الأجيال الحالية لم تنتبه لها، ولكنها في الحقيقة راسخة في التاريخ، فإن كانت لك تلك النظرة فستراها، ولذلك يمدك الشيخ ﷺ في زمانك ولأزمنة بعد زمانك ويمدك برؤية لا ينتبه لها أهل زمانك إلا القليل منهم، فتجسمها وتبلورها فتجد في كل مكان رجالا يلتفون مع بعضهم البعض لينجزوا شيئا معينا، ومن ذلك تضل بركة نور نياتهم مستمرة لأجيال فترسخ، وفي كل زمن تجد أن القليل فقط يؤمنون بأولئك الرجال، وهذا دائم الحصول، فلا ينتبه لهم إلا بعد رحيلهم، فلا يستطيع أحدنا أن ينتبه إلى قيمة ذلك العمل حتى وإن كنا مجموعة مع بعضنا البعض إلا إذا أوقفنا الزمن، وما ذلك إلا بسبب الدنيا والأمراض والتعب، فلا تستطيع أن ترى هذا الأمر بشكل واضح كما هو حال الروح، وما ذلك إلا بنور رباني، وهو نور الإذن، فالإذن هو النبي بذاته، والمراد منه أن الآذن هو الذي يتصرف، فيجدد الدين

فقير: كان سيدي محمد القمار ﷺ يوصينا بأن نكتب اسمه وراء صورته قائلا: "**دونوا عليها اسمي لكي تعرفني الأجيال القادمة**"

البيان: وما تلك إلا إشارة، ومنها قوله: **"حين تكتب كتابا فقل: قال فلان، وسيأتي يوم يقول الناس: كان فلان"**، وبما أنه كان قليل الكلام فإنك حين تسمع منه عبارة كهذه فإنها تتركز في ذاتك، ولذلك لأنه لا يحب الظهور وكان يكتم نفسه كثيرا.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة صفر 1433 هـ

ذِكْرَى 11 وَ17 صَفَرْ 1433هِ

البيان: في الواقع كنا في العادة نخصص يوم الخميس للفقه نتعلم ما استطعنا على قدر الطاقة ولو للسلامة من نقصان العلم، لأن من لم يتقدم فإنه سيتأخر، وأعظم شيء في زمننا هذا هو التفقه في الدين[59]، فمن ترك التفقه في الدين ولبس لباس الصالحين وتكلم بكلام أهل التصوف فلا يكفيه ذلك سواء صدق أو لم يصدق، وليس لنا ولله الحمد من الفقراء الأجلاء تلاميذ سيدي أحمد التجاني ﷺ من يفعل مثل هذا ولكن لابد من زيادة الأخذ بأسباب القوة والمناعة وأعظمها التفقه في الدين لقوله ﷺ: "**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده**"[60]، فنسأل الله أن يحفظنا ويعلمنا وأن يجمع لنا سبحانه بين العلم والعمل، وبين العلم وصلاح الأحوال وصدقها، فهذا ما تنجح به الأعمال، ونسأله ﷻ بجاه رسول الله ﷺ أن يبعد عنا كل نفس من أنفاس ادعاء ما ليس فينا، إذ ليس فينا شيء إلا الضعف، ولكن الحمد لله تعالى على نعمة الإسلام وعلى هؤلاء السادات الرجال الكمّال الذين سخرهم الله ﷻ لنا، فجمعنا بهم وأحببناهم واتبعناهم، لا أكثر من ذلك ولا أقل، وكما قلنا فيوم الخميس مخصص للفقه ولم نجعل برنامجا مسبقا لهذه المناسبة، فقررنا ككل عام أن نجمع بين 17 صفر وهي ذكرى الفتح الأكبر للشيخ الأكبر سيدنا ومولانا أحمد التجاني ﷺ ونفعنا به آمين، وبين

[59] "**الأنبياء قادة والفقهاء سادة ومجالستهم زيادة**" (القضاعي) عن علي.
- "**ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ونصيحة للمسلمين**" (ابن النجار) عن ابن عمر.
- "**المتعبد بغير فقه كالحمار في الطاحون**" لأبي نعيم في الحلية عن واثلة.

[60] تخريج السيوطي لأبي نعيم في الحلية عن ابن مسعود.

11 صفر ذكرى انتقال سيدنا ومولانا محمد القمار ﷺ، فهذه هي نيتنا السابقة، والحمد لله فنحن على هذا العهد، وقد شجعني سيدي خالد القمار ﷺ على ذلك، فقلت له أن الأيام كلها هي أيام الله[61]، فإن جعلنا المناسبة قبل أسبوع أو بعد أسبوع أو في نفس الشهر، فنيتنا لوجه الله تعالى وهي نية صالحة ويكون الأمر ثابتا إن شاء الله، ونسأل الله أن تقام مستقبلا في الزاوية وتكون مفتوحة للعموم ويكون الحاضرون في وضع أفضل مما هم عليه اليوم في هذه الدار وهي دار الجميع ودار الفقراء، وقد كانت الأمور على هذا النحو واجتهدنا على قدر الطاقة محبة ووفاء وأيضا تبركا بهذه الأيام وهذه النفحات، وانظروا لبعضكم البعض فستجدون حضور الشيخ ﷺ، فالله هو الذي جمعنا فما علينا إلا أن نفرح، وفي ذلك تجديد العهود والنيات والزيادة في كل أنواع الخيرات إن شاء الله، وبما اننا لم نعدّ كلمة خاصة بالمناسبة فسنقرأ ما تيسر من كلام الشيخ ﷺ، والحمد لله أن التقينا ورأينا بعضنا البعض، ونسوق ملاحظة بهذه المناسبة وهي ذكر التاريخ بالتقويم العربي الهجري ثم من شاء أن يذكر ما يوافقه بالتقويم الميلادي فله ذلك، لأن التأريخ الهجري يكون أصدق وأصح

السارد: قال سيدي الحاج العياشي سكيرج في كتابه (كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب) في ترجمة صاحب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الجيلاني ﷺ: "واعلم أنهم لو سألوني وقالوا لي من أين لك هذا لقلت من عند الله فإن قيل أبوحي أو برؤية أو بهاتف لقلت دفعت في بداية أمري إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة

البيان: هذا كلام الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ لما سأله بعض أصحابه عن تغير حاله فبقي مدة لم يجبه عن سؤاله ثم كانت هذه الرسالة

السارد: دفعت في بداية أمري إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع فصار أولي آخري وآخري أولي وبعضي كلي وكلي جزئي فكنت أنا هو من حيث أنا لا من

[61] {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (5) سورة إبراهيم

حيث هو وحينئذ لو سئلت عن ألف ألف مسألة من أهم المسائل لأجبت عنها بجواب واحد إذ صرت كالمصباح فلو أشعلت مني جميع المصابيح ما نقصت من ضوئي شيء ولله الحمد وهذا السر المكتوم أوله الظاهر آخره إنما وقع لي بمحروسة فاس

البيان: إنما يحدثنا الشيخ ﵁ هنا عن أول أمره وهو يافع وكيف دفع إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة فصار أوله آخره وآخره أوله وبعضه كله وكله جزئه، ثم قال: فكنت أنا هو من حيث أنا لا من حيث هو، وهذا كله في أول أمره وهو يافع، ثم بعد ذلك صار في كل نفس تتجدد له الفتوحات كنقطة في بحر ثم يصير ذلك البحر نقطة في بحر جديد وهكذا دواليك، وهذا في كل نفس من أنفاسه، وذلك حتى يعلم الإنسان ما لهذا الرجل ﵁ من الخير العميم ومن الفيض الذي أفاضه الله ﷻ عليه وما كان له منة وكرامة من الله ﷻ ومنه هو يفيض على الأمة محبة وخدمة في أمة رسول الله ﷺ

السارد: حين كنا نقرأ على الدقاق في السبع وعلى الشيخ الجمال في تعليم الاسم وسر الحرف وعلى الشيخ السجلماسي في صغرى السنوسي وكنت ذات يوم وهو يوم الاثنين سألتني ونحن بالجامع تلقاء الاسطوانة التي يجلس إليها الدقاق عن حالي فقلت لي ما لي أراك تقلبت أحوالك وصرت لا تجالسنا ولا تحسن مذاكرتنا فقلت لك يا أخي الله أعلم بحالي

البيان: قوله ﵁: يا أخي الله أعلم بحالي، يظهر منه عظمة كتم الشيخ ﵁ لأحواله فلا يظهر منه حال إلا ما هو قهري، وحتى إن سأله أحدهم فيقول: "الله أعلم بحالي"، فانظروا قوله لكلمة "الله أعلم بحالي" وهو في أي حال ﵁ فهذه هي قوة كتم الشيخ ﵁ لأحواله في حضرة الله ﷻ وكأن شيئا لم يكن

السارد: فوضعت يدك على قلبي فأحسست له خفقانا يشبه ارتعاد الورقة عند عاصف الرياح فقلت لي أتجد لهذا ألما فقلت لك لا فقلت لي هذا شيء ستخشى عواقبه أو ترجى مواهبه

البيان: قوله ﷺ: "هذا شيء ستخشى عواقبه أو ترجى مواهبه" دلالة على أنهم كانوا أناسا علماء وعارفين بالله تعالى ويعلمون أن هذه الأمة منورة كلها ظهر ذلك الأمر أو لم يظهر

السارد: ففي ذلك اليوم وأنا بذلك المكان قبل مجيئك هتف بي هاتف أيا أحمد لقد بلغت المنى

البيان: فهذا هاتف سمعه الشيخ ﷺ معاينة ولم يكن في المنام بل يقظة

السارد: فاستعذت بالله

البيان: فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم[62] لأنه كان من المحققين فلا يندفع مباشرة وراء الأمور دون تثبت، وقوله استعذت بالله: أي أتحصن بالله من كل ما سأجد وكل ما يكون للشيطان دخل فيه لا قدر الله تعالى، مع أنه يعلم ﷺ أنه لا دخل للشيطان في أحواله لأنه كله لله وبالله راسخ ثابت، فلا شك ولا وهم، سواء كان ذلك في أحواله أو أقواله أو أفعاله، فلا يتصور غير هذا أبدا، فالعارف الكامل لا شك عنده ولا وهم ولا حدس ولا تخمين إلخ وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن بإذن الله تعالى فيكون[63]، فتصريف أهل الله تعالى لا يكون إلا بالكونية التي تعطى لهم وهي بكلمة "كن" وبسر كلمة "كن" وإنما كونيتهم كونهم أصبح كل ما يفعلونه إنما مقصودهم فيه هو "الله"، فلما كان كل أمر فعلوه من أمرهم مقصودهم فيه هو وجه الله تعالى أصبح كل ما ينوونه وكل ما يذكر في قلوبهم يتجلى فيه الله ﷺ فيصير حقا فهذه كونيتهم، وهي ليست ككونية من يكتب الأسماء أو يستعملها، وهي كونية خاصة وسر من أسرار الشيخ ﷺ، وذلك لتعلموا أن سيدي الحاج القمار ﷺ يقول: أعطيت المكاشفة فتركتها وأعطيت كذا وكذا فتركته، فهؤلاء الكمّال لا يحبون التصريف لأنهم هم عين التصريف الإلهي، وذلك لأن كل ما خطر بباله إنما هو خاطر رباني فيتصرف بذاته من عند الله،

---

[62] {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (98) سورة النحل

[63] {أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} (49) سورة آل عمران

ولماذا؟، لأن هذا العبد إنما هو عبد كامل لله ﷻ فلا يحب جلب شيء ولا يحب دفعه، وإنما هو عبد كامل في حضرة مولاه ليس له إلا أن يراقبه فقط، فلما كانت كل أحواله وأفعاله وأقواله وأذواقه ونياته لله وبالله تعالى فأصبح كل ما خطر فيه إنما هو خاطر رباني بحت وهذه هي كلمة "كن" عندهم، فأصبح هو نفسه من هذه الكونية، وهذا الأمر يكون لكل الأقطاب الكمّال وهو أمر خاص جدا وهو ما لا يفهمه كثير من الناس، وخاصة مع قول الشيخ رضي الله عنه: "في بداية أمري"، فهذا كله كان في البداية فقط، ومن ذلك أن سيدي الحاج القمار رضي الله عنه كان إذا ما حدثنا ببعض الأمور يقول: "**كل هذا كان في الأول حتى إنه لم يكن هناك شعر في لحيتي**"، وذلك لكي يعلم السامع أن ما أتحدث عنه إنما هو لإرساء قواعد هذا العلم الخاص والذي هو علم المعرفة بالله تعالى وهو علم النية وضبطها وإتقانها في المدرسة المحمدية ﷺ، فلابد أن يُعلم هذا الأمر من التصريفات والرقائق والدقائق والتجليات والظهور والأسماء والصفات فهو علم، ولكن اعلم أن هذا كله في بداية أمري، وهكذا كان سيدي الحاج القمار رضي الله عنه حين كان يحدثنا عن سيدنا عيسى عليه السلام وكيف رآه وهو خارج من جامع الزيتونة ثم سيدنا موسى عليه السلام ثم سيدنا نوح عليه السلام، ثم يقول رضي الله عنه بعد ذلك: وهذا كله في البداية، ومنذ كنت صغيرا أرى الأسماء الإلهية وأنظر معاينة كيف أن الاسم الله هو رئيس الأسماء، وهذا كله قبل أن ينبت الشعر في وجهي، ا.هـ وهذا لتعلم أن أهل الله وأهل هذا الفتح مهما وصل فتحهم فليس هذا هو المقصود عندهم بل المقصود هو الله ﷻ

السارد: ففي ذلك اليوم وأنا بذلك المكان قبل مجيئك هتف بي هاتف أيا أحمد لقد بلغت المنى فاستعذت بالله وقرأت ما تيسر الله من القرآن ثم سمعت صوتا وكلاما يتوقع من جميع أعضائي ومن كل ناحية

البيان: قوله رضي الله عنه يتوقع من جميع أعضائي معناه أن العارف إذا وقع معه أمر كهذا فإنه يسمعه من كل ذاته ومن داخل جسده ومن خارجه بل ومن شعرات جسده ومن

مسام جلده ومن داخل عقله ورأسه وفكره فلا يعرف من أين يتأتى ولا كيف يتصرف فهذا معنى سماعه من الحضرة الإلهية

السارد: ثم نظرت إلى السماء فوقع بصري على اسمي مكتوبا في عالم الملكوت العلوي ...

البيان: عالم الملكوت العلوي هو علم علمه من علمه تحقيقا وليس مجرد كلام يقال ...

السارد: وبإزائه أيا أحمد لقد بلغت المنى فحدث ولا حرج

البيان: قوله ﷺ: "فحدّث ولا حرج" إنما هو إذن مطلق أن يحدّث في جميع العلوم بأسرها، فحدّث ولا حرج أي قل ونحن الذين نفيض عليك من حضرة الله ﷻ ومباشرة من حضرة رسول الله ﷺ فالحمد لله على هذا

السارد: ثم نظرت إلى الأرض يمينا وشمالا وخلفا وأماما فكذلك ثم فتح الله بصيرتي في الحال فرأيت بعيني رأسي الرجل الذي لا يحتمل كلامه الكذب

البيان: الرجل الذي لا يحتمل كلامه الكذب هو رسول الله ﷺ وقد رآه معاينة ويقظة لا مناما وهذا الأمر معروف وموجود في أمة سيدنا ﷺ

السارد: فدنا مني وأخذ بعضدي الأيمن وأوقفني ووكزني بيده اليسرى بين ثديي وقال لي أنت من أمثال الصحابة فحدث ولا حرج

البيان: قوله ﷺ: "**أنت من أمثال الصحابة**" لأنه ﷺ التقى به يقظة، وهو الذي أفاض عليه بمثل هذه المرتبة، فهنيئا، ولا يقال لشيء مثل هذا كيف؟ ولما؟ لأن الإنسان لم يحصّل كل العلوم حتى يقول هذا غير ممكن أو لا يجوز، ومن فعل هذا فعلمه منقوص جدا، وكما قال بعض الفقراء منذ حين: نرى أناسا من فرنسا ومن دبي ومن تونس العاصمة فيروننا ونراهم ويسمعوننا ونسمعهم وكل هذا في علبة من البلاستيك اسمها

الحاسوب، فلو قيل قديما فلان في تونس والآخر في بغداد ويتحادثان ويتشاوران في الأمر لقيل هذا غير ممكن، فمن هنا نعلم أن الفتح هو القبول[64]، وهو أن الإنسان يكون مسلّما لله في ملكه، أي أن المالك ﷻ يفعل في ملكه ما يشاء، فهذا علمته وهذا لم أعلمه، فقط لا تقل: هذا لا يكون، فلو قلت هذا لكنت كمن حصّل جميع العلوم منذ النشأة الأولى ثم قدّرت فقلت: أعلمكم أن هذه لا تكون، أو أن فلانا لا يدرك هذا المقام أو لا يفاض عليه، وهذا لا يكون لأن من قال هذا فقد حرم بركة أهل زمانه وحرم بركة ذلك العلم[65]، لأنه كان باستطاعته أن يقول الله والله قادر على كل شيء فيكون بذلك قد اتخذ أدبا مع ربه ﷻ

السارد: فوقع في قلبي ذلك الخفقان وإنه لم يزل إلى الآن ثم وقع لي أكثر من هذا

البيان: وذلك الخفقان كان ولا يزال، بسبب أن النبي ﷺ وكزه بين ثدييه وقال له: "أنت من أمثال الصحابة فحدث ولا حرج"، ثم قال ﷺ: "ثم وقع لي أكثر من هذا"، فالمراد منه كما قال سيدي الحاج القمار ﷺ: "وأكمل الباقي بعقلك".

فهذا ما كان في 17 صفر من ملاقاة الشيخ التجاني ﷺ لسيدنا محمد ﷺ بقرية أبي سمغون ثم حدّث بها بعض أصحابه في فاس حين صار وقت التحدث بها وقد قرأناها للتذكار، {**وَذَكِّرْ**}[66]، وسنقرأ الآن ما تيسر من الهمزية إما من بدايتها أو حتى من آخر القصيدة لأنها عظيمة ومن جملة بركاتها وجود السيرة النبوية فيها، وستجدون في جواهر المعاني كيف أن الشيخ التجاني ﷺ كان يعتني اعتناء خاصا بالسيرة النبوية الشريفة حتى إنه فاق كل الأولين والآخرين فيها فكان له فيها فهم وذوق ومعرفة بخصائصها لم يسبقه إليها أحد، فلم يكن مثله أحد في هذا المجال، وكان الشيخ ﷺ دائما ما يحث أصحابه على التغلغل في معرفة السيرة النبوية وقراءتها ومن جملة السيرة قصيدة الهمزية للبوصيري إذ فيها الشيء الكثير من سيرته ﷺ فهي على الأقل تطرح

---

[64] - **"إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه وجعل فيه اليقين والصدق وجعل قلبه واعيا لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة وجعل أذنه سميعة وعينه بصيرة"** (أبو الشيخ) عن أبي ذر

[65] **"رحم الله من حفظ لسانه وعرف زمانه واستقامت طريقته"** للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس

[66] {**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**} (55) سورة الذاريات

السؤال فيبحث الإنسان عن إجابة ذلك السؤال في سيرة ابن هشام أو السيرة الحلبية فيقرأها ويفسرها حتى يكون العلم بعد ذلك، وقد شرح الشيخ سيدي أحمد التجاني ﵁ القصيدة الهمزية في كتابه الإرشادات الربانية فعلّق سيدي الحاج القمار ﵁ عن ذلك بأن الشيخ ﵁ بتفسيره وشرحه للقصيدة وكأنه مدح النبي ﷺ أكثر مما فعل البوصيري وذلك لأن البوصيري بذاته يستمد من الشيخ ﵁، فمن أين له كل هذا؟، إنما أفاضه عليه الشيخ سيدي أحمد التجاني ﵁، وكذلك حال كل الشيوخ ﵁ وكل أهل الله قاطبة بل ومن عصر الصحابة إلى النفخ في الصور

قَـــــدْ رَجَوْنَـــــاكَ لِلأُمُـــــورِ التِـــــي أَبْـــــ

ـــــــرَدُهَا فِـــــي قُلُوبِنَـــــا رَمْضَـــــاءُ

وَأَتَيْنَـــــا إِلَيْـــــكَ أَنْضَـــــاءَ فَقْـــــرٍ

حَمَلَتْنَـــــا إِلَـــــى الْغِنَـــــى أَنْضَـــــاءُ

وَانْطَـــوَتْ فِـــي الصُّـــدُورِ حَاجَـــاتُ نَفْـــسٍ

مَـــا لَهَـــا عَـــنْ نَـــدَى يَـــدَيْكَ انْطِـــوَاءُ

فَأَغِثْنَـــا يَـــا مَـــنْ هُـــوَ الْغَـــوْثُ وَالْغَيْـــ

ـــــثُ إِذَا أَجْهَـــــدَ الْـــــوَرَى الـــــلأوَاءُ

وأما في حديثنا عن سيدي الحاج القمار ﵁ وعن منهجه، فمن سار على نهجه وصل، مع الراحة والاطمئنان والغنى عن كل الخلق، فيصير شخصا غنيا بربه محفوفا بالعناية الربانية وبمحبة الشيخ ﵁ وأصحابه ومحفوف كذلك بساداتنا الفقراء الذين هم عز لنا ونحن عز لهم، وأما إن لم يبلور الإنسان هذه المدرسة وهذا المنهج الذي تركه لنا

سيدي الحاج القمار ﷺ ويكون ذلك في السلوك اليومي وفي العلاقات مع الناس وفي عمله ومع زوجته ومع أولاده وفي زاويته فإن الإنسان يكون في تعب دائم، حتى وإن بقي خمسين عاما على هذا الحال فإنه يظل خمسين عاما في تعب مستمر، فهذه النفحات التي نحن فيها إنما هي للتذكير، **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}**[67]، وذلك حتى نذكر بعضنا البعض، ونتذكر ما تركه لنا مشائخنا ﷺ لأن ما تركوه لا ينفذ فما عليك إلا أن تغرف منه، وهذا ما يجب أن نأخذ حذرنا منه، والحمد لله أن جميع الفقراء على هذا المنهاج، ما تيسر من القرآن كالحزب الراتب اليومي، وما تيسر من ابن عاشر، وكذلك المسائل الفقهية مع فقه الطريقة وخاصة الأمور الأصلية في الطريقة كما سمعنا منذ حين عن صلاة الفاتح وعظمتها، فهذا كله دائما ما يضعك في المقام التاسع وكل يوم وهذا هو المقصود، وربما في هذا الشهر يتم إعادة طبع الجزء الأول من كتاب الإراءة في نسخة طيبة جدا ونسأل الله أن لا تكون فيها أخطاء ونسأله أن يوفقنا إليها، وكذلك قد اجتهد الإخوان في هذا الإنجاز فبارك الله فيهم وفي كل من وضع يده بأي عمل كان فله البركة وله خير عظيم، وهناك الكثير من الكتب هي تحت المراجعة، وكذلك نشير إلى أن الموقع الإلكتروني والذي اسمه القماري البعقيلي سنحاول أن نضع فيه هذا المنحى وهذه الخصوصية في تربية وحال وعلوم سيدي الحاج القمار ﷺ وطبعا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ الذي هو أصل هذا المشرب وهو شيخنا كلنا، وكذلك خلفاء سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ والذين تميزوا بهذا الذوق الخاص مع احترام وتعظيم جميع ساداتنا لأن أصحاب الشيخ ﷺ كلهم على حق ولكن كل شيء موجود في المواقع الأخرى فنحاول أن نضيف ما لم يكن موجودا في المواقع الأخرى ونيسره لمن أراد، فمن أراده وجده، فهذا باختصار عمل الإخوان في هذه الفترة، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا والله هو الموفق ونسأله أن يعيننا وأن يجعلنا على قلب رجل واحد[68]

---

[67] (55) سورة الذاريات

[68] - **"أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفا"** لأحمد عن أبي بكر

- **"أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على أثرهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ سوقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة"** للبخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وبنفَس واحد والحمد لله، لأن هذا أمر مشرف فرضي الله عن ساداتنا الإخوان فكلهم على عمل واحد وكلهم في منحى واحد، ونسأل الله أن يزيد في صفاء القلوب والأحوال وزيادة في اتباع السنة النبوية الشريفة وتعظيم الأشراف واحترامهم، وهذا هو موضوع الفقرة التي سيقرأها العبد الضعيف بعد قليل إن شاء الله، فأدلي بدلوي بين الدلاء، ونقرأ من كتاب جواهر المعاني، ولابد للإنسان من يقرأ دائما ويراجع ما قرأه وخاصة من بداية الكتاب عن الشيخ ﷺ وخاصة أحواله وفتوته وطلبه للعلم وتعظيمه للسنة النبوية الشريفة ومن جملته تعظيمه للأشراف، فإذا ما قرأ الإنسان كل هذا وراجعه فإنه سيعرف ما هي الطريقة التجانية

السارد: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، قال ﷺ: ويحبّ الخمول ولا يحبّ الظهور ولا مَنْ يتعاطاه كما يأتي في باب زهده إن شاء الله تعالى ويحب آل البيت النبويّ المحبّة العظيمة ويَوُدُّهُمْ المودّة الجسيمة ويهتمّ بأمورهم، لا يزال حريصًا إلى إيصال الخير إليهم ويضرع إلى الله فيما يُصْلِحُهُمْ،

البيان: أي يخدمهم بجاهه وجسده ووقته ونفسه وسره أيضا خدمة تامة، ولماذا؟، لأنه أعطى نفسه لله، فمن هذا إذا نظرنا إلى سخائه نجد أنه قد أعطى كله إلى الله

السارد: وَيُكْرِمُهُمْ غاية الإكرام، ويبرّ غاية بهم أشدّ البرور، ويتواضع لهم أشدّ التواضع، ويتأدّب معهم أحسن الأدب، وينصحهم ويذكّرهم ويرشدهم إلى التخلّق بأخلاق النبيّ ﷺ والعمل بسنّته ويقول: "الشرفاء أوْلى الناس بالإرث من رسول الله ﷺ"، ويحضّ الناس على محبّتهم وتوقيرهم والتواضع لهم والأدب معهم، ويبيّن عظيم مجدهم ورفيع قدرهم ويرى أن التواني في أمورهم ومحبّتهم نقص في الإيمان، ولا يحبّ مَن يناويهم أو يباريهم أو يخلّ بالأدب معهم ويشدّد النكير على مَن فَعَلَ ذلك معهم ﷺ وأرضاه ومتّعنا برضاه آمين، ومن عظيم محبّته إيّاهم وأدبِه معهم وتواضعه لعليّ قدْرهم أن

لا يترك مَن استشاره مِن أصحابه أن يصاهرهم مخافة تقصيرهم في شيء من الحقوق التي تجب عليه لهم أو وقوعه في بعض الحقوق

البيان: أي إذا ما استشرته في زواجك من شريفة النسب فإنه يرفض، وربما يقول لك: تحمل مسؤوليتك في ذلك وأنا بريء منك لأن حقوقها صعبة جدا، اللهم إن كتبها الله عليك فاجتهد وإلا فالفرار الفرار[69]

السارد: ورأيته يوماً شدّد على بعض أصحابه حين أراد تزويج شريفة، فمنَعه من ذلك وقال له: "إنْ فعلتَ فأنا بريء منك في الدُّنيا والآخرة" نعوذ بالله من مخالفته في غيبته وحضرته، وذلك لأجل أنْ لا يقع منهم ما يغضبهم ويسوؤهم

البيان: فمن الناس من يعلم هذا الأمر فكانوا يتحرون فيه أشد التحري، ولا يمنع من التواضع لمراتب الله ﷻ إلا التكبر أو الجهل[70]، وحاشى أن يكون بين أحباب سيدنا ﷺ من هو من المتكبرين أو من الجهال، بل قد يكون لبعضهم في بعض الأحيان غفلة فقط، ولكن نذكر بعضنا البعض، والفقراء كلهم –كما قال الشيخ البعقيلي– فيهم عِرْقُ الشرف، فحذار حذار، فما بالك بمن كان شرفه واضحا وجليا، وإنما هذا من تعظيم مراتب الله ﷻ، فهو حق واجب عليك وعلى كل واحد من هذه الأمة، فكل له مقامه وله مرتبته، وهو أمر سهل وبسيط إن أنت أردت طاعة الله ﷻ، وهي فرصة لنا واضحة وضوح الشمس، شأنها شأن الاستغفار وإذا ما التفت من هنا تجد التوبة وإذا التفت من هناك تجد "لا إله إلا الله" والصدقات، وكذلك تجد الشريف بجانبك، فهي فرصة لنا جميعا، وهي كذلك مزية من الله ﷻ، بل هي سفينة نجاة كسفينة نوح[71] عليه السلام، فما يمكن أن يصدك عن ذلك؟، انعدام الأدب مع الأشراف

[69] وصايا الشيخ البعقيلي في الزوجات من الإراءة ج2

[71] **"إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك"** للحاكم في المستدرك عن أبي ذر.
- **"مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"** (البزار) عن ابن عباس وعن ابن الزبير للحاكم في المستدرك عن أبي ذر

السارد: فيغضب بذلك فاطمة بنت النبي ﷺ ويغضب أباها ﷺ ما أغضبها للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني، والحاكم في المستدرك، والبيهقي، عن المسور بن مخرمة ﷺ حيث خطب ابنته الحسن المثنّى على ابنة عمّه فاطمة بنت الحسين ﷺ فاعتلّ له بحديث: "فاطمة بضعة منّي يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها"[72] وبأن عنده أشبهها، وذلك يقبضها ويقبض جدّتها بنت رسول الله ﷺ، فوافق فعل سيّدنا ﷺ فيمن استشاره فِعْل هذا الصحابيّ الكريم وسلك مسلكه في الإجلال والتعظيم

البيان: وذلك أن فعله ﷺ كله اتباع للسنة وإنما تميز لشدة ورعه ﷺ

السارد: وأنّ المصاهِر لهم قد يرى في نفسه شيئا من المساواة فيخلّ بالوقار، وكثيرا ما يوصي بتوقيرهم واحترامهم والاحتياط في تعظيم مقامهم بعدم المصاهرة لهم مخافة أن يرى الإنسان نفسه أهلاً لذلك فينكح منهم كما نكحوا منه فلا يرى لهم مزيّة ويستخفّ بمرتبتهم العليّة

البيان: فلابد أن تكون هذه المزية دائما ظاهرة في القلب حتى يكون الإنسان دائما غانما، وهي طاعة عظيمة لله ﷻ بل ومن أعظم الطاعات

السارد: وهذه آفة قلبية وعلّة خفيّة لا يراعيها ويحترز منها إلاّ أرباب القلوب، ومن شدّة تعظيمه لقدرهم وغيرته عليهم أنّه لا يحبّ من يخالطهم على حظّ ويخادعهم في شيء أو يكتم عنهم نصيحة ويقبّح ذلك غاية التقبيح ويكره فاعله والحاصل أن محبّته لآل البيت النبويّ وتعظيمه إيّاهم أمرٌ عظيمٌ لم يُر مثله لأحد من أهل زمننا ولا سمعنا به، بل هو شيء انفرد به وتحقّق منه تحقيقا ويقينا، والمحبّة –وإن كانت وصفا قلبيّا– تُعلَم زيادتها بالأحوال الدّالة عليها والأمارات المرشدة إليها، وإنّا لا نعلم من يحبّ

---

[72] **"فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري"** لأحمد وللحاكم في المستدرك عن المسور.
- **"فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني"** للبخاري عن المسور
- **"إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها"** لأحمد والترمذي وللحاكم في المستدرك عن الزبير

الشرفاء ويعظّمهم في هذا الزّمان مثل محبّته وتعظيمه، وليس ذلك بمستغرب في أمثاله. ومحبّة آل النبي ﷺ، رزقنا الله منها أوفر حظّ ونصيب، مِنْ نتائج الإيمان الحقيقيّ وثمراته، وكذا سائر هذه السيرة المحمديّة التي سار بها شيخنا ﷺ ممّا في بيان آثارها ونشر أخبارها عبرة للمعتبرين، وتذكرة للمتذكّرين، وتسديدا للمتقين، وتأييدا للموفقين، وعونا للموجّهين، ويقظة للمنتبهين، ومحجّة للمتقدّمين، وحجّة على المعتدين، رزقنا الله بركته وضاعف لنا محبّته.

البيان: نكتفي بهذا القدر لكن على الإنسان أن يقرأ من حين لآخر سيرة الشيخ ﷺ في الجواهر، ففيها فتوته وأخلاقه وصفاته، فالتربية في الطريقة التجانية إنما تكون بأحوال المشائخ، وهذا ما خطر لي أن نقرأه في هذه المناسبة فاعتمدته دون زيادة أو نقصان أو إثبات بميزان العقول وعلى كل فالحساب لا يكون عندنا بل عند الله تعالى، وبارك الله فيكم.

ونقرأ الآن ما تيسر من كتاب "**الشيخ سيدي محمد القمار ﷺ وتجديد الطريقة التجانية في تونس**" وهو من إنجاز أخينا عبد اللطيف زرقي متحصل على ماجستير في العلوم الإسلامية من الجامعة الزيتونية وقد كتب قبل هذا عن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وقد وفقه الله ونجح في ذلك ولله الحمد، وكان الكتاب باسم "**الحاج الأحسن البعقيلي: مذهبه وتصوفه في ضوء المقاصد**"، وقد كان ذلك بادرة خير ليجتهد في التأليف العلمي الذي يكون فيه الفتح الرباني مع علم الرسوم وهو علم الظاهر، وهذا الكتاب الذي سنقرأ منه اليوم إن شاء الله هو بصدد الإنجاز وقد تعاون فيه هو وعديد الفقراء وهو في ترجمة وحياة سيدي الحاج القمار ﷺ وفيه أهم مراحل حياة شيخنا وأبواب تتعلق بعلمه وورعه وزهده وتجديده للطريقة في تونس وكيف كانت الزاوية ثم استقراره في زاوية باب الخضراء وقبل ذلك في جامع الزيتونة وما قاله فيه بعض تلاميذه مما دوناه ويسر لنا الله فيه، ونحن الآن بصدد قراءة ومراجعة هذا الكتاب حتى يكون موافقا لذوقنا وذوقه وذوق الإخوان فيكونون إن شاء الله تعالى راضين عنه كلهم

ونسأل لله أن يوفقنا في نشره وعسى أن يكون ذلك في هذه السنة أي سنة 2012م ويتمتع به ساداتنا الأحباب فينظرون فيه ما لم يضع من إرث سيدي الحاج القمار ﷺ إن شاء الله.

السارد: نقرأ من فصل "**الشيخ سيدي محمد القمار ﷺ قطبا**": للبحث في هذه الترقيات التي مرّ بها الشيخ سيدي محمد قمار ﷺ ننطلق من مسلمتين اثنتين؛ المسلمة الأولى: وجود هذه المراتب حسب ما نص عليه أرباب الطرق الصوفية وشيوخها شرحا وتفريعا لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ فعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن لله ﷻ في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام؛ فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة بدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء**"[73] ا.هـ

---

[73] - قال الحافظ المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير: شرح حديث "**الأبدال من الموالي**" (الحاكم في الكنى) عن عطاء مرسلا، قال ابن عربي: "الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة فقط وهم أخص من الأبدال والإمامان أخص منهم والقطب أخص الجماعة والأبدال لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت أوصافه المذمومة بمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون وقيل ثلاثون وقيل سبعة ولكل وتد من الأوتاد الأربعة ركن من أركان البيت ويكون على قلب عيسى له اليماني والذي على قلب نبي من الأنبياء فالذي على قلب آدم له الركن الشامي والذي على قلب إبراهيم له العراقي والذي على قلب محمد له ركن الحجر الأسود وهو لنا بحمد الله. ا.هـ

- قال الحافظ المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير: شرح حديث "**أعظم الناس حقا على المرأة زوجها وأعظم الناس حقا على الرجل أمه**" للحاكم في المستدرك عن عائشة، قال بلال الخواص: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فألهمت أنه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال الخضر قلت ما تقول في مالك بن أنس قال إمام الأئمة قلت فالشافعي قال من الأوتاد قلت فأحمد قال صديق قلت فبشر قال لم يخلف بعده مثله قلت بأي وسيلة رأيتك قال ببركة لأمك . ا.هـ وفيه أنه يلزم الرجل عند ضيق النفقة تقديم أمه على أبيه.

- قال الحافظ المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير: شرح حديث "**السلطان ظل الرحمن في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإن جار أو حاف وظلم كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر**" للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر، ذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالسلطان في أخبار كثيرة القطب قال العارف ابن عربي: آل محمد لهم إقامة أمر الله من حيث لا يشعر به الأقطاب والأبدال والأوتاد والنقباء والنجباء ولهؤلاء دون آل محمد الإحاطة إقامة لأمر الدين والدنيا من حيث لا يشعرون بمسرى مددهم من آل محمد إلا أن يجدوا أثراً من الآثار لمن يؤيد بروح منهم قال: وكذا لولي الأمر الظاهر من الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والولاة والقضاة والفقهاء ونحوهم ممن يقوم بهم أمر ظاهر الدين والدنيا من الأقطاب

البيان: وهذا هو ما سميناه بالمنحى العلمي، فمراتب الأولياء والأقطاب والأوتاد موجودة منذ بداية الجنس البشري، وقد حدث بذلك رسول الله [74]ﷺ، إذًا فقطبانيته رضي الله عنه هي أن قلبه على قلب سيدنا إسرافيل عليه السلام بل وأكثر من ذلك لأن كل فقير تجاني قلبه على قلب سيدنا إسرافيل عليه السلام بذلك الإيمان الذي وضعه فيهم رسول الله ﷺ وبالإذن الخاص الذي وضعه فيهم الشيخ التجاني رضي الله عنه ولا مغمز في ذلك، {**وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**}[75]، بل وما زال أكثر من ذلك، والقطب يكون جامعا مانعا لجميع المراتب الإلهية وحتى الملائكة تحته، وأما بخصوص هذا المنحى العلمي للمنظور الصوفي فمن أراد من هنا وجد ومن أراد من هناك وجد، وهو أمر مهم جدا فيقرأه الأستاذ الجامعي وأهل العلم عموما ويقرأه الناس أمثالنا أهل التصديق والنية الصالحة، وقد رأينا شيخنا رضي الله عنه فاكتفينا بذلك، وفي هذا ربح للجميع من هنا ومن هناك، وقد كان سيدي محمد القمار رضي الله عنه كثيرا ما يوصينا بخلق الله خيرا، وأن يأخذ الإنسان حذره من الحسّاد، فكلما زيد للإنسان مرتبة وإلا وحرك إبليس الحسد ضده[76]، كما وكان يوصينا وصية واحدة في العمل لا ثانية لها، وهي أن نهتم بأمور العمال، ومن اتبع سيرته فإنه دائما ينجح

مدداً وإقامة من حيث لا يشعرون وذلك أن الأمر كله لله {**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**} (54) سورة الأعراف، {**وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ**} (20) سورة البروج

[74] **"إن الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلا بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق"** (ابن عساكر) عن علي

- **"الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله تعالى مكانها امرأة"** (الخلال في كرامات الأولياء للديلمي في مسند الفردوس عن أنس

- **"الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء و يصرف عن أهل الشام بهم العذاب"** لأحمد عن علي

- **"الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا"** لأحمد عن عبادة بن الصامت

- **"ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال: الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله عز وجل"** للديلمي في مسند الفردوس عن معاذ

- **"خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين مكانه يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله"** لأبي نعيم في الحلية عن ابن عمر

[75] (212) سورة البقرة

[76] -**" للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وشيطان يضله وكافر يقاتله"** للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة

السارد: وقد جمع الشيخ العربي بن السائح ﷺ في كتاب البغية أقوال شيوخ الطرق وأرباب التصوف التي يعضد بعضها بعضا لتجعل من هذه التصنيفات كالمسلمات عند أصحاب الطرق

البيان: كلنا تقريبا نعرف كتاب البغية لصاحبه الشيخ سيدي العربي بالسائح ﷺ، إذ ليس عندنا أصح من البغية في الطريقة فقد كتبه صاحبه من كلام الشيخ ﷺ وانتقاه من الثقات كما واشترط في انتقاء كلام الشيخ ﷺ ما اشترطه البخاري ومسلم[77] في الحديث، وقد قال فيه الشيخ البعقيلي ﷺ: لم يكن عندنا أصح من البغية، فهو كتاب علم وكتاب تصوف كامل من كل وجه

السارد: المسلمة الثانية: أن الشيخ سيدي الأحسن بن أبي جماعة البعقيلي ﷺ كان قطبا فردا جامعا وهو أمر دلّت عليه قرائن عديدة وشواهد كثيرة من أفعاله وأقواله يضيق المقام عن حصرها لكثرتها، منها قوله في إحدى رسائله إلى واحد من كبار المقدمين بسوس الحاج علي بن أحمد الأساكي ﷺ "**وإنّنا لكم ولحقائق ذرّات المقدور روح ورحمة ونور وبرد وسلام وسرور كالماء في الأغصان والثمرات، وأن الكون كاليتيم في حجر قرّة أعينكم**"[78] ويقصد نفسه بالعبارة الأخيرة، وهذا الوصف الذي وصف به نفسه فيه مطابقة تامة لما عرّف به الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ القطب الجامع[79] وهو تعريف يقرّه غيره من العارفين الذين أنزلهم الله هذا المنزل. اعتمادا على هاتين المسلّمتين يمكننا أن نتناول الإشارات التي كان يراسل بها الشيخ البعقيلي

---

[77] قال سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ في الإراءة الجزء الأول طبعة درب غلف صفحة 143: "**وإياك أن ترى ما كتبناه إلا على وجه الرؤية به عنده لا به بعض الأمواج القريبة المنهل فإننا عجميون طبعا وذاتا ولغة فصاحب البغية اشترط في كتابه شروط الصحيحين البخاري ومسلم وأنا لا أشترط شيئا ولا أذكر إلا ما أفاضه بحر العناية من الشيخ فالرواية أصح وأدل وإنما يناسب كلامي هنا الضعفاء الأطفال من أولادنا و غيرهم ممن لا اعتناء لهم بمدارك الشيوخ كمن رأى وحده هلالا فيجب عليه وعلى أهله الذين لا اعتناء لهم به الصيام لا غير**" ا.هـ

وقال في الإراءة الجزء الثاني طبعة درب غلف صفحة "**فأحب المقاصد له ما ذكره صاحب البغية ﷺ وإن كانت المقاصد كثيرة لا مشاحة في الاصطلاح لتفاوت المقامات لصحة سنده عن الشيخ ﷺ**" ا.هـ

وقال في الشرب الصافي من الكرم الكافي الجزء الأول طبعة درب غلف صفحة: "**فعليك بالبغية فإنها الغنية عن كل مطلوب ومجزنة عن كل تأليف في الطريق فلا عمل عندنا بما يخالفها**" ا.هـ

[78] - هذه الرسالة بتاريخ 1360هـ=1941م

[79] حيث يقول الشيخ التجاني ﷺ عن القطب الجامع "ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرّة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها "

تلميذه سيدي محمد قمار وكذلك تعليقات الشيخ قمار نفسه على هذه الإشارات لنستنتج ما يدل على المراتب والترقيات التي تدرّجها الشيخ قمار رضي الله عنه

البيان: هذا قد يصلح لعامة الناس، ولكن بالنسبة للفقراء فلله الحمد أنهم يعرفونه جيدا، فسيدي محمد القمار رضي الله عنه حي معهم، فيتنقل ويمشي وله التصريف الكامل إلى يومنا هذا وله من المراتب ما له بل وأبعد من ذلك، ومن ذلك قال له: نحن أخوة ذات واحدة، وقال له: فالله يأبد فيكم رئاسة الدين، وكثير من هذه الأمور إنما هي مسلّمات بالنسبة للفقراء، وربما يكون البحث أكثر في بواطن إشارات الشيخ القمار رضي الله عنه وفي العلوم الربانية التي أوتيها ومن أعظمها تجريده وتوجهه إلى الله توجها أقل ما يقال عنه في الحقيقة أنه توجّه عجيب، ويتجلّى ذلك التوجه في أحواله وتقلباته ومواقفه أو يتجلّى كذلك في قلوب تلاميذه، والأغلبية منهم لا يستطيعون التعبير عمّا خالج وجدانهم من رؤية شيء من باطنه في التذلل والعبودية إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن كل فقير يعرف هذا الأمر لأن أرواحنا مربوطة بروحه، وهذا أعظم من كل المراتب وأعظم من كل القطبانيات، وهو مجدد الدين وقد جدد الطريقة وجدد الفقه وجدد الكتب، ففي المدح قال عليكم بالبوصيري وفي التاريخ عليكم بالواقدي وفي السيرة النبوية قال عليكم بابن هشام وفي الحديث قال عليكم بالسيوطي وهكذا لم يترك مجالا من المجالات العلمية أو المجالات العملية إلا وانتقى منها أحسنها وقربها وسهلها لنا وربما أدى أعواما في ترسيخ الوضوء فقط، وهذا جهاد عظيم في سبيل الله سبحانه وتعالى وعرف كيف يبني بناء يستمر في المستقبل وهذا هو تجديد الدين لأنه منذ خمسين عاما مضت كانت هناك أماكن فيها أناس لا يصومون وأماكن أخرى فيها أناس لا يصلّون جهارا، وهذا في بلاد المسلمين، فأهل سوس عامة والبعقيليون خاصة لهم هذه المزية، ألا وهي أنه يرتحل ويترك أهله وماله والده ويسافر، إلى أين؟ في سبيل الله عز وجل وحيثما وضع الرحال بالإذن إلا ويبني مدرسة فكما يبني غيره جدران المدرسة فإنه يبنيها في سماء القلوب، وهذه المدرسة إنما أردنا أن نجتهد حتى نبرزها ونظهرها ونوضح ملامحها في كتابات كهذه الكتابة وغيرها وستجدونها إن شاء الله على الموقع الالكتروني القماري البعقيلي حتى تكون ذخرا لكل من طلبه، وهو

منهج ومنهاج يسمى مدرسة وطريقة خاصة في التربية لها تناسق عام فكل من اتبعه انطلاقا من نقطة واحدة يجد نفسه في الوصول بحول الله السميع العليم، لأنها كاملة برزت من كامل مأذون إذنا مطلقا كاملا سارٍ سرُّهُ في العوالم وفيكم، نكتفي بهذا القدر ونسأل الله أن يوفق الجميع إن شاء الله، وعسى أن لا نكون أطلنا ولكنها ليلة جمعة فهي ليلة غراء ويوم أزهر[80] وخاصة في صفر الخير والخيرات وهو الذي تصب فيه الفيوضات والخيرات صبا وأما ذكر أسماء أسيادنا كسيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ وسيدي محمد القمار ﷺ وسيدي محمد الغالي ﷺ وسيدي محمد أحمد الكنسوسي ﷺ وسيدي الحاج اليفريني ﷺ وسيدي محمد الكبير البعقيلي ﷺ وسيدي محمد الحبيب البعقيلي ﷺ وسيدي أحمد التجاني ﷺ وما أدراك من هو، فذكر جميع الخلفاء آية من آيات الله العظام.

[80] **"كان إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان إذا كانت ليلة الجمعة قال: هذه ليلة غراء ويوم أزهر"** للبيهقي في الشعب ابن عساكر عن أنس

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة الجمعة 13 جمادى الأولى 1430هـ الموافق لـ 8 ماي 2009م.

الفَرَحُ بِالنِّعَمِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ

السارد: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. قال شيخنا رضي الله عنه:

وقد علمت أنّ الفرح[81] بالنعم على ثلاثة أقسام: فرَحٌ بها لكونها قضاء للوطر والشهوات، وصاحب هذا الفرح مثل البهيمة سواء. وفرح بها لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات، ولكونها منّة منه لاختياره له جلّ وعلا، فهذا متوسّط بين الدناءة والشرف. وفرح بها لأجله جلّ وعلا، وأنّها من اختياره منه لا لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات، فهذا هو غاية الشرف الرفعة لصاحب هذا الفرح. وكذلك في ضدّ النعم في الكراهة لها هكذا سواء. وبهذا يفترق الأمر في محبّة الجنّة وما فيها، وكراهة النار، فالأوّل مذموم قطعا، والثاني مذموم وممدوح، والثالث ممدوح مشرّف قطعا لأنّه لم يفرح بالجنّة للذّاتها وشهواتها بل لأنّها من حسن اختيار الله جلّ وعلا، وأنّها من أعظم مننه، وأنّها دار جواره ومحبته، فَهُم يحبّونها ويفرحون بها من أجله لِما تقدّم من عزل شهواتهم وحظوظهم لمراد الله عزّ وجلّ واختياره، أنَالَنَا الله ذلك من فضله وكرمه بجاه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه

[81] {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (58) سورة يونس

وسلّم. الحاصل أنّه لا يكمل القيام لله بالله مع الله من أجل الله عزّ وجلّ حتّى يتورّع صاحبه عن جميع المقدّرات، ويقطع الطمع من الله أن يعطيه غير ما قدّر له أو يمنعه ما قدّره، ولا يصل إلى الله عزّ وجلّ حتّى لا يبقى له غرض في شيء من الأكوان

البيان: أي لا يصل إلى معرفة الله ﷻ بمعرفة تجلياته حتّى لا يبقى له غرض في شيء من الأكوان، فيكون عبدا ميّتا

السارد: كما قيل: "حرام عليك الاتّصال بالمحبوب ويبقى لك في العالمين مصحوب"، وهو نكتة الباب

البيان: أي حرام عليك الوصول إلى حضرة القرب وحضرة القدس وقد بقي لك في العالمين مصحوب أي إذا بقي لك في قلبك قيمة ووزن لأشياء أخرى كقولك: مالي، ولدي، عملي، رئيسي، نقودي، فإنك لا تصلح لحضرة القرب أبدا ما دامت هذه الأشياء في قلبك، وقوله (وهو نكتة الباب) أي أن هذه النقطة التي عليها مدار كل شيء، "**يا داوود خل نفسك وتعال**"، فالعارف بالله كأشياخنا بكثرة ملازمته وكثرة محادثته وكثرة صحبته يورثك هذا الذوق الذي به تصبح عبدا حقيقيا لله ﷻ، فلم تعد ترغب في أي شيء مهما كان، وإنما صباحك ومساءك وليلك وأنت عاكف على طاعة الله ﷻ وليس لك أي غرض كان لأنك عبد وهذا فص المقام

السارد: وقد قيل في هذا ما طلعت شمس ولا غربت على الخلق وهُمْ جهّال بالله تعالى إلاّ من يؤثر الله ﷻ على نفسه وهواه وآخرته ودنياه

البيان: وهكذا يكون العاقل

السارد: فانظر في هذا هل تجد له غرضا في الأكوان؟ وهذه هي الحرّية الخالصة من شوائب ربقة الأكوان

البيان: المراد منه أن هذا ما يصبح به الإنسان عارفا بالله تعالى ودونه لا يكون عارفا أبدا، وهو أن يصبح هواه في متابعة الشرع فيصبح حرا عتيقا معتوقا من جميع القيود فيسبح ويعوم في بحور المعرفة بالله تعالى

السارد: وهذه هي الحرّية الخالصة من شوائب ربقة الأكوان ومن تحقّق بهذا المقام، يكون الدعاء في حقّه لمحض العبوديّة فقط

البيان: فيدعو ربه بلسانه وقلبه مسلّم

السارد: لا تطلّعا إلى تحصيل شيء لأنّه إنْ تطلّع بدعائه إلى تحصيل ما قدّره له أو دفْع ما هو مدفوع عنه فهو عبث لا فائدة له

البيان: يكون بذلك قد أصبح له غرض مع ربه، فكيف تطلب منه شيئا قدّره لك وكيف تطلب منه دفع شيء دفعه عنك؟، إلا أن يكون ذلك من باب إظهار الفقر والضعف والتذلل إلى الله تعالى، وأما إن كان من باب أنك تريد أن يكون الأمر كما دعوت ربك فذلك جهل منك وذلك عبث لأنه من تحصيل الحاصل، فالشيء يكون في يدك وأنت تطلبه من ربك ﷻ، "**ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**"[82]، جف القلم بما أنت لاق، وقد انتهى الأمر

السارد: ويلزم تأديب قلبه عن هذا التطلّع للعبث، وإن تطلع لذلك فهو طمع ومضادة لأحكام الربوبيّة، وكلاهما في مذهب العارفين حرام، فيلزمه تأديب قلبه أيضا عن هذه الخسائس، فلم يبق إلاّ التعلّق بالله ﷻ عبوديّة له به لا لأجل تحصيل شيء منه بالتعلّق به لئلاّ يدخله ما تقدّم من الطمع والعبث والشرك بالأغراض ويلزمه حينئذ الوقوف مع الله ﷻ على حدود الأدب بالرضا عن الله ﷻ في كلّ شيء والرضا بأحكامه في كلّ شيء

[82] **"لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خير من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار"** لأحمد عن زيد بن ثابت لأحمد وأبي داوود وابن ماجه لابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وحذيفة وابن مسعود.

البيان: فقد جعل الله تعالى الرَّوح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحَزَن في الشك والسخط[83]

السارد: والتفويض له في كلّ حال والتسليم له في كلّ شيء والاستسلام له على كلّ حال وإقامة النفس له على ما يريد[84]. وتفسير الرضا[85] عن الله ﷻ هو ترْك السخط عليه فيما يُجريه عليك من الأضرار

البيان: وأما تفسير اليقين[86] بالله ﷻ فهو ترْك الشك فيه ﷻ

السارد: بل يتلّقى حكمه بالفرح والسرور

البيان: لأنها برزت من الحي القيوم ﷻ بأن جعلك أهلا لأن يتجلى فيك بمفاعيله، فأنت محبوب على كل صفة سواء تجلى فيك بجلال أو بجمال فما بقي إلا أن تأتي إليه ﷻ وتعرفه بوصفيه

السارد: وإن كان هلاكه فيه لِصِدْق محبّته، ولا يتمنّى زوال شيء ممّا فعَلَه من الضرر حتّى يكون هو الذي يدفعه جلّ وعلا. وتفسير الرضا بأحكامه ومقاديره هو نفي السخط لِما حَكَمَ به عليك أو غيرك، فتستوي عندك المضارّ والمنافع، ولن تصل إلى تحقيق هذا المقام إلاّ بكمال زهدك فيك، وكمال رغبتك فيه لأجله لا لشيء يعود إليك منه.

---

83 **"إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى وأن تحمدهم على رزق الله تعالى وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله تعالى إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وإن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط"** لأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد

84 **"خمس من الإيمان من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له: التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتوكل على الله والصبر عند الصدمة الأولى"** (البزار) عن ابن عمر

85 **"إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط"** (ت هـ) عن أنس

86 **"سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية"** لأحمد والترمذي عن أبي بكر

- **"الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله"** لأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة صفر 1434 هـ الموافق لديسمبر 2012م

مَنْ يُبَاحُ لَهُمُ التَّيَمُّمُ

البيان: السؤال: من هم الأفراد الذي يباح لهم التيمم؟، الجواب: فاقد الماء أصلا أو الذي لا يجد من الماء ما لا يكفيه للوضوء أو ما لا يكفيه للغسل، فهذا يباح له أن يتيمم، وفاقد القدرة على استعمال الماء، المكره أو المريض أو العاجز يتيمم، ومن خاف باستعمال الماء حدوث مرض كنزلة برد أو حمى أو غير ذلك أو خاف زيادة مرض أو خاف تأخر أو بطء برئ فيتيمم، ومن خاف عطش حيوان يخشى معه الهلاك، "**من لا يَرحَم لا يُرحَم**"[87]، فيقدم الإنسان شرب حيوانه على وضوؤه خشية موت ذلك الحيوان، وكذلك يتيمم من خاف تلف ماله بسرقة أو نهب، والمال هنا هو ما زاد على ثمن الماء المتطهر به، وأما من خاف باستعمال الماء خروج وقت الصلاة فقد قال فيها الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ بعدم الجواز، أي لا يجوز له التيمم، كمثال من بقي له بضع دقائق على خروج وقت الصبح وهو – أكرمكم الله– جُنُب، فسيذهب في اتجاه التيمم والصلاة قبل شروق الشمس لأن استعمال الماء سيخرج الصلاة عن وقتها ولكن الشيخ ﷺ قال لا يجوز ذلك، وكذلك من أراد إدراك الجماعة بالتيمم فلا يجوز له ذلك، وإن كانت جل كتب

[87] لأحمد والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي عن أبي هريرة والبخاري ومسلم عن جرير.

الفقه قالت بجوازه، ولكن الشيخ ﵁ لم يجوزه لأن التيمم إنما هو رخصة عند عدم وجود الماء وأما إذا وجد الماء فلابد أن يغتسل إن كان جنبا ولابد أن يتوضأ إن كان محدثا الحدث الأصغر ولو فاتته صلاة الجماعة ولو خرج الوقت الاختياري وحتى الضروري للصلاة ولو خرج وقتها لوقت القضاء، فما على الإنسان إلا أن يجتهد منذ البداية في عدم إخراج الصلاة عن وقتها، وقد حدثني بعض الفقراء كيف كان يغتسل من الجنابة مباشرة في الوادي بالماء البارد، وذلك كي لا يضيع صلاته، فانظروا إلى هؤلاء الناس وإلى القوة التي أعطاها لهم الله ﷻ، ولكن الشرع لم يأمرنا بذلك، كحادثة الذي شجّ رأسه في الحرب فحين سأل بعض الصحابة عن حكم ذلك فأجابه بالغسل لا بالتيمم، فاغتسل فمات، فقال لهم رسول الله ﷺ: **قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَ سَأَلُوا إذَا لَم يَعلَموا فإنمَا شِفاءُ العيِّ السُؤالُ؟ إنمَا كانَ يَكفيهِ أن يتيمَم (وفي رواية ويعصبَ على جُرحِه خِرقَة ثم يَمسحُ عليها ويغسلُ سائرَ جسدِهِ)**،[88] لأن التيمم رخصة والرخصة رحمة، وهذه مسألة في التيمم، فانظروا ماذا قال الشيخ سيدي أحمد التجاني ﵁: "في كتب الفقه قولهم (المحافظة على الأوقات أولى من المحافظة على الطهارة) أي أن الفقهاء يقولون بالمحافظة على عدم خروج وقت الصلاة ولو الوقت الاختياري فعلى المصلي أن يتيمم اتباعا لهذه القاعدة، يعني أن الحاضر (وهو من يسكن الحاضرة أي غير المسافر) الصحيح (غير المريض) عندهم إذا خاف خروج الوقت باستعمال الماء يتيمم ويصلي للقاعدة المذكورة، قال سيدنا ﵁: فهذه القاعدة لا تصح، لماذا لا تصح؟، لمخالفتها للنص بل يتوضأ ولو خرج الوقت ويصلي لأنه إذا تيمم وصلى فصلاته باطلة لقوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ**

[88] لأبي داوود عن جابر.

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} (43) سورة النساء، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (6) سورة المائدة، وفي الحديث الصحيح: "**لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**"، ولا تبوح الصلاة بالتيمم إلا لمريض أو عادم الماء وأما الحاضر الصحيح إذا خاف خروج الوقت لعذر كنوم أو نسيان فإنه لا تباح له الصلاة بالتيمم بل يتوضأ ويصلي ولو خرج الوقت عليه فصلاته صحيحة ولا إثم عليه إن كان صاحب عذر، اللهم إن كان عليه غسل وأضاع وقت الصلاة حتى خرج فعليه إثم ذلك، فإذا تيمم على هذه الحالة وصلى فصلاته باطلة والقاعدة إذا خالفت القواطع فلا عبرة بها ولا عمل عليها بل العمل على ماضي ما في النصوص ولا يعدل عليها إلا لصارف شرعي كما هو معلوم عند أربابه والسلام، فهذا كله مأخوذ من كتاب (الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم) لسيدي محمد بن المشري رضي الله عنه، وللإشارة فإن صلاة الجمعة لها نفس الحكم فيغتسل من الجنابة فإن أدرك الوقت صلى وإلا صلاها ظهرا، ولكن لا يدخل الجامع أصلا على جنابة ليتيمم ويدرك الصلاة، وصلاة الجمعة واجبة ولكن إن فاتته مرة لعذر شرعي فلا شيء عليه، ولكن لا يكرر ذلك، كما لا يصلي الظهر حتى يأذن لصلاة العصر وذلك ليتحقق أن ليس ثمة جامع آخر تصلى فيه جمعة ثانية.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

تونس العاصمة في 1 صفر 1429هـ الموافق لـ 8 فيفري 2008م

وَأَمَّا عُلُومُهُ البَاطِنَةُ

البيان: جواهر المعاني ليس كمثله كتاب أبدا، وإذا ما أخذت منه مسألة واحدة تنسى المسألة التي قبلها، وجميع العلوم والكتب مستخرجة منه

السارد: وأما علومه الباطنة الحقيقة المستمدّة من الأنوار الإلهية فهو قطبُ رحاها وشمس ضُحاها، يقول من سمع كلامه فيها هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله تعالى

البيان: من يسمع كلام الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ فإنه سيقول هذا كلام رجل وكره وأصله ومأكله ومشربه وموضع راحته في غيب الله ﷻ ولذا كلامه يخرج من الغيوب

السارد: وهذه علوم محلّها القلب

البيان: وهي علوم تأتي بالتجليات الإلهية الفائضة من بركات شيخنا

السارد: وهي معادن الأسرار ومطالع الأنوار ولهذا لا يمكن التعبير عنها ولا يعرف حلاوتها إلاّ مَن اتّصف بها وذاقها

البيان: من يذوق ويفهم الجواهر المعرفية ويشاركها مع غيره فيمكنه أن يذوقها، ولا يذوقها ولا يعرفها إلا من انقدحت في قلبه، فإن لم تنقدح في قلبه فلا ذوق له فيها حتى يأتي الله بفتح أو أمر من عنده[89]، فيسلّم لمن كان له هذا الذوق، فمجرد الذوق

[89] {فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ} (52) سورة المائدة

والتصديق هو معرفة عظيمة جدا، وكل الفقراء هم في هذه المعرفة، وقد استوطنوا في قلب الشيخ ﵁ والشيخ ﵁ مستوطن في حضرة غيب الله ﷻ، فهم من ذلك الغيب، رضي الله عنهم، وإن لم يظهر لهم ظهر لغيرهم، فمن كان مفتوحا عليه يظهر له ذلك بكل وضوح

السارد: فلهذا ﵁ يؤثر حبّ مولاه العظيم على غيره ويراقبه ولا يأنس بأحد، بل تجده يفرّ إلى الخلوات الكثيرة، قد طال فكره في معرفته تعالى فانكشفت له عجائب الأسرار وتجلت له الأنوار كما قال القائل:

ومنفَـــــــرِدٌ بـــــــاللهِ هـــــــامَ بحُبِّـــــــهِ

فلـــــيسَ لَـــــهُ أُنـــــسٌ بشـــــيءٍ ســـــوَى الـــــرَّبِّ

تفـــــرَّدَ فِـــــي الـــــدُّنْيَا لطاعـــــةِ ربِّـــــهِ

فأورثَـــــهُ عِلـــــمَ الكتـــــابِ بـــــلاَ ريـــــبِ

البيان: وكل مشائخنا على هذا النحو فلا يحبون إلا الله تعالى فيورثهم الله علوما وأسرارا ويباشرون الخلق تسببا فقط ولكن في الحقيقة هم متوجهون فقط إلى الله، رضي الله عنهم وأرضاهم

الســـارد:

وآثـــــــرَ حُـــــــبَّ اللهِ فانكشـــــــفتْ لـــــــهُ

عجائـــــبُ أســـــرارٍ ثوابًـــــا علـــــى الحُـــــبِّ

فمـــن كـــان فـــي دَعـــوى المحبَّـــةِ صَـــادقًا

تجلّـــتْ لـــه الأنـــوارُ مِـــنْ غيـــرِ مَـــا حُجـــبِ

فيرتـــــاحُ فـــــي رَوْضِ المعـــــارفِ دائمًـــــا

ولَـــــذَّتُهَا أشْـــــهَى مِـــــنَ الأكـــــلِ والشُّـــــرْبِ

البيان: ولذا كان العارف بالله تعالى وكره في معرفة ربه، فيسايرك في علم الظاهر وفي الفقه ولكن إذا أطلت معه فسيرجعك إلى المعرفة بالله تعالى، فلا يرتاح إلا مع ربه وذكر محبوبه وذكر أوصافه وأسماءه ونعوته على حسب ما ينقدح له من المواجيد في قلبه ولذا كان وكر العارفين دائما في المعرفة بالله تعالى لا غير

السارد:

تُخاطِبُـــــهُ الأحـــــوالُ مـــــنْ كُـــــلِّ جانـــــبٍ

فـــــيَفْهَمُ عنـــــهُ بالضـــــميرِ وبالقلـــــبِ

البيان: إنما يسمع من الله في كل مكان فليس ثمة إلا الله [90]ﷻ

السارد:

يُكاشَـــــفُ بالأســـــرارِ مِـــــن مَلَكوتهَـــــا

فيـــأتي عليـــهِ الفـــيضُ مـــن عـــالمِ الغَيْـــبِ

[90] {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (115) سورة البقرة

البيان: وهو فيض حقيقي ليس فيه شك ولا وهم وهو حقيقي واضح من الحضرة الإلهية عبر الوسائط واحدا عن واحد حتى يأتي في قلب المصطفى لصدقه ومحبته وصفائه عن كل ما سوى ربه وعن كل ما يحجبه عن الله فيكون الفيض دفعة واحدة

السارد: إلى غير ذلك ممّا قيل. ولا شكّ أنّ السادات المتّصفين بأحوال الصفات هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة واقتدوا بهم ظاهرا وباطنا، فجمعوا بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه، فقد فاقهم سيّدنا ﷺ وحصل له ما حصل لهم، فهو ﷺ القدوة للمقتدي والهداية للمهتدي لجمعه بين لطائف الأحوال وصحيح الأقوال والأفعال، باطنه حقائق التوحيد، وظاهره زهد وتجريد، وكلامه هداية لكلّ مريد. فأمّا خوفه ﷺ

البيان: قد يقول بعضهم إن المشائخ الأكابر لا يخافون، في حين أن أكثر الناس خوفا[91] هم المشائخ الأكابر، وقد قضينا السنوات الطوال مع سيدي الحاج القمار ﷺ، ففي وقت فرحه وبسطه تخال نفسك قد مررت للجنة وانتهى كل شيء، وفي وقت خوفه تسأل نفسك هل نحن مسلمون حقا أو لا، وهو صادق في كلتا الحالتين

السارد: فهو كثير الخوف من الله

البيان: كثير الخوف من الله مع أنه في تمام التمكين وفي تمام الاستقامة التامة وكأنه نبي من الأنبياء ومع ذلك يكون كثير الخوف من الله تعالى

السارد: متطاول الأحزان في سبيل الله

البيان: وما هذا التحقق إلا من اتساع الدائرة المعرفية، لأنه بدأ يعرف ربه، وكل من بدأ يعرف ربه حقيقة إلا وسكنه الرعب ويكتشف أنه عمره لم يخش الله وهذا لا يكون إلا إذا ابتدأ المعرفة الحقيقية بالله تعالى فيعلم من ذلك الحين أنه لم يخف الله تعالى أبدا وكل ما كان منه إنما هو مجرد كلام وهذا يكون ولو مع المفتوح عليه

السارد: وربّما سُمِعَ لصدره أنين ودويّ من شدّة خوفه

91 **"كان الناس يعودون داود يظنون أن به مرضا و ما به إلا شدة الخوف من الله تعالى"** (ابن عساكر) عن ابن عمر

البيان: وقد شاهدنا أحوالا لشيخنا سيدي محمد القمار ﷺ في الخوف من الله ليس لها مثيل، وسمعنا سيدي محمد الكبير البعقيلي ﷺ وصدره به صفير متواصل ووجهه يتلون خوفا من الله تعالى، ومن سمع من صدره ذاك الصفير يكاد يظنه سينتقل في حينها، لماذا؟، لأنه عرف ربه، وكل من بدأ يعرف ربه فلا تسأل عن تغير حاله، فإذا ما دخله الخوف الحقيقي من الله ﷻ وبدأت لديه بوادر المعرفة الحقيقية فإنه أولا ستتمكن منه الرعشة ثم يدرك أنه عمره لم يخف من الله تعالى ولم يعرفه

السارد: لا سيما إن كان في خلوته مستغرقا في الذكر في أوقات جلوته لا يشعر بمن يحضر معه في حضرته لاستغراقه في المذكور وغيبته

البيان: وهذا حال العارف منذ دخوله في معرفة الله من تجليات الأسماء وتجليات الصفات حقيقة وليس مجرد تعابير من الكتب فإن هذه التجليات تغيبه عن نفسه وتغيبه عن جميع من حوله فلا يرى الناس أصلا وإنما يكون دائما في وحدة غائب عن نفسه فلا يشاهد نفسه ولا يشاهد من حوله وإن كان يمشي بين الناس ويأكل ويتكلم[92] ولكن حقيقته مع ربه وكأنها حقيقة شيء بين الخلق كله يقابلها فيراها وتراه، فيدخل في الشهود والشهود يغيبه عن جميع صفاته وأحاسيسه ومواجيده فيكون في عالم آخر فيفنى فناء حقيقيا وهو حي

السارد: دخلتُ عليه مرارا لخلوته فلم أستطع أن أواجهه بالخطاب لهيبته

البيان: المرة الأولى التي بت فيها في منزل واحد مع سيدي محمد القمار ﷺ كانت بمنزل ابنته، ولكني لم استطع المبيت معه في غرفة واحدة، وحين رجوعي لغرفته بعد وقت وجدته جالسا قد كشف رأسه ونزع عمامته والانوار ساطعة من رأسه ومن كل جسده الشريف حتى إنك لا تستطيع النظر إليه فرعبت لأنه لا حراك فيه وكأنه إنسان جامد أو ميت وكأنه محلق بين سماء وأرض وقد رعبت لأنه في حضرة مولاه

[92] {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} (7) سورة الفرقان

السارد: وأما صبره ﷺ فلا خفاء بما له من الثبات في مركز الصبر، فلا يزال ﷺ يقابل مَن أساء إليه بالإحسان

البيان: يقابل مَن أساء إليه بالإحسان من كل طرف ولو هرة فلو أن الإنسان يقابل من أساء إليه بالإساءة لما كانت هناك معرفة بالله تعالى لأن الله هو الفاعل

السارد: حتى صار كلّ من ينكر عليه يقرّ له بالفضل والعلم والحلم والولاية الكبرى وعظيم المكانة وكمال الإحسان

البيان: فهكذا تكون الدعوة إلى الله تعالى بالحلم والعلم والصبر وتجرع مرارة الالتقاء مع الإخوان وتجرع الصبر على الإساءة لأنه مجتهد في سبيل الله تعالى، ولأن عمله هو الجهاد في سبيل الله تعالى حتى يبلّغ، ولا يبلّغ حتى يصبر ويدرأ بالسيئة الحسنة ويكون حليما، وحتى يصير العارف معه وحده في اليقظة فيكون مع ربه وييأس من جميع المخلوقات ويستأنس بأهل الصدق والصفاء والإنصاف، فيفرح بهم وينشط بهم ويتعب بغيرهم أو بهم إذا تغيروا، لكنه مع الله ويعلم أن الله هو الفاعل وما من أحد يفعل معه، فالله هو الذي يسلط عليه خلقه ليضغط عليه فيعصره عصرا حتى يصفيه وحتى يخرج نوره فينتفع به الناس، ولا يخرج نوره إلا إذا وضع تحت المحك، فلا تفوح روائحه إلا بالحك، فعليه أن يكون صامدا أمام المحك الإلهي ليخرج في النهاية لا شيء عليه، وكما قال المغني: "ما يفوحْ بلا حَرْق عودْ قماري"، أي لكي يفوح عطرُك يجب أن تُحرق، فيكون جلالاً ثم جمالاً، ولابد من ذلك، فإن كان صابرا وصامدا ومستحضرا مشائخه فتكون الأمور كلها على خير، فيتقوى ويتنور ويزيد نوره وعلمه ويكون أهلا لذلك الأمر، وإن جزع وارتعب من فلان وفلان فنسأل الله أن يتقوى وأن يجزيه خيرا

السارد: فلمّا رأوا ذلك منه وصار له ذلك عادة ولم يلتفت إلى ما هُمْ عليه من الإذاية وعدم الإحسان رجعوا عمّا كانوا عليه من الإذاية والإضرار وتابوا إلى الله وسألوا منه الصفح والعفو والاستغفار، فعادوا إلى أحسن حال وأكمل مقال يطلبون من سيّدنا

ﷺ أن يسامحهم ويعفو عنهم ويتجاوز عنهم ويسامحهم ويدعو لهم ويحنّ عليهم ويشفق منهم ويتودّد إليهم ويتعاهدهم ويتفقّد أحوالهم ويسأل عنهم

البيان: هم من خلق الله المحبوبين، فينظر فيهم وجه ربهم فيكون الخير وتكون بركة العارف هي بركة صبره، فلمّا صبر لله وجاهد لله وفي الله فإن الله يجازيه بأن يفرحه بأن ينقل أحوال من حوله إلى أحسن حال من المعرفة وكمال الثبات وكمال المحبة وكمال الخيرات، فيفرح العارف بأن يفرحه الله ﷻ وإن لا فلا، فلابد من ذلك الأمر وهي سنة، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ، سواء كان ذلك الأمر في أقوام غرباء أو أقارب، سواء بسواء

السارد: فهذا حاله ﷺ الذي لا يقدر عليه أحد لا أكابر الصدّيقين وأصفياء العارفين. ومع كثرة اشتغاله بهذه الأمور لا يفرّط في أنواع الطاعات ولا يفوته شيء من القربات، بل ما زاد إلاّ جدّا واجتهادا في الطاعة

البيان: فلا يضيع له ورد أبدا، ولله رجال، ونحن نستمع لكل هذا لننشط ونجدد ديننا ونجدد إيماننا ونزداد تشبثا بأورادنا وبصفاء قلوبنا مع إخواننا ونتعلم ما تيسر من العلم النافع ونكون على خطواته، ونحن إن لم نتقابل مع سيدي أحمد التجاني ﷺ فإننا تقابلنا مع سيدي الحاج القمار ﷺ، والمراد منه أن نرى فيه ما يحبه الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ، فسيدي محمد القمار ﷺ لم يكن يضع وسادة وينام كالخلق والناس أو يمد ساقيه، وإنما هو مجرد اتكاء على الأريكة وسبحته بين يديه حتى أنها تركت أثرا في أصابعه من كثرة ذكره، وإن طال به الإتكاء فلا تسمع منه إلا كلمة "يا رب" ثم يتجه مباشرة لإعادة الوضوء ثم يعود للحالة التي هو فيها وهو في ذلك العمر المتقدم ومع ذلك فلا يترك ركعاته العشر بعد صلاة العشاء ولا ركعاته الست بعد صلاة المغرب ولا غير ذلك مع أن أذكاره عديدة متعددة، فتراه مواظبا على ذكرها مع ثلاثين حزبا من القرآن يوميا، "**الشيخُ في بيتهِ كالنبيِّ فِي قَوْمِهِ**"[93]، فيكون عبارة عن نبي وإن لم تعد

[93] لابن حبان في الضعفاء والشيرازي في الألقاب) عن ابن عمر.

هناك نبوة، فذاك هو النبي ﷺ، وهو قائم بأمر الله فلا يضيع لحظة من أنفاسه، ولكن لم تعد هناك نبوة فبقيت القطبانية وهي تحت النبوة، وكل من أعطوا القطبانية يكونون على هذا النحو، رضي الله عنهم، وما نقول هذا إلا لنتشجع فليس لنا إلا ورد صباحي وآخر مسائي ووظيفة يومية مع الصلوات الخمسة فنؤديها بإتقان مع ما تيسر من الفاتح لما أغلق والنية الصافية ونتوكل على الله لا على الدنيا ويكون ذلك بتمام التوكل عليه ونفرح مع الإخوان ويكون القلب صافيا، والحمد لله أنهم لم يطالبونا بأكثر من هذا، بل طالبونا بأقل قليل، ولذا لو ضمنا لهم هذا لضمنوا لنا الباقي كله، فنشجع بعضنا البعض ونكون فرحين ونسير على نحوهم على قدر الطاقة وبسير زماننا.

الملحق الأول: ﴿ الخشوع و التواضع ﴾ [94]

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (1و2) سورة المؤمنون، قال ﷺ: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فقال بعض الناس إنا نحب الثوب الحسن فقال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال) الكبر من بطر الحق وغمص الناس**[95]، كان ﷺ يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف، الخشوع الانقياد للحق والتواضع الاستسلام للخلق وترك الاعتراض على الحكم وهو قيام القلب بين يدي مولاه، خشوع القلب قيد العيون عن النظر، الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت شهوته وحيي قلبه فخشعت جوارحه وهو تذلل القلوب لعلام الغيوب قال تعالى{**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**} (63) سورة الفرقان، أي متواضعين متخاشعين، ورآ رسول الله ﷺ رجلا يلعب بلحيته في صلاته فقال (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) وشرطه في الصلاة عدم معرفة من على يمينك ويسارك وهو ذبول يرد على القلب عند إطلاع الرب وهو ذوبان القلب بسلطان الحقيقة وهو مقدمة غلبات الهيبة. من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره، ولا يسجد عمر بن عبد العزيز إلا على التراب ويسرع عمر بن الخطاب ﷺ في المشي وقال إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزهو، ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر. وكان ﷺ يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغني الفقير ويسلم مبتدئا ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر

---

[94] الاراءة الجزء الأول طبعة درب غلف ص 244.
[95] لمسلم عن ابن مسعود

وكان هين المئونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما عن غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع. فمن رآ لنفسه قيمة فهو متكبر وفي بعض الكتب المنزلة إني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته فالمتواضع لا يرى في الخلق شرا منه. وهو نعمة لا حسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز فيه لا في الكبر. الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة. أعز الخلق خمسة: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سنّي والتكبر في الفقراء أسمج من الأغنياء وهو قبول الحق ممن كان. ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ. أحس عمر بنخوة لما وفد عليه الوفود سامعين مطيعين فحمل قربة على عاتقه ومضى بها إلى امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها كسرا للنخوة. وهو ترك التمييز في الخدمة. لا يذوق حلاوة الخدمة من رأى لنفسه قيمة. عرض مملوك على بعض الملوك بألف درهم فاستغلاه فقال له العبد فاشتريني فإن فيّ خصالا كل خصلة بألف درهم فقال ما هي فقال لو قدمتني على سائر ملكك لم أغلظ فاشتراه وقال له أنا عبدك. قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهما قباء وعمامة وقلنسوة وقميصا وسراويل ورداء وخفين. والتواضع ألا ترى للناس إليك حاجة لا في الدين والدنيا. قال بعضهم ما سررت غير مرة جلست وجاء رجل وبال عليّ. تشاجر أبو ذر وبلال فعيّره أبو ذر بالسواد فقال ﷺ بقي فيك يا أبا ذر أثر كفر فحلف أبو ذر حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل. مر الحسن بن علي على الصبيان فاستضافوه بكسر خبز فنزل فأكل معهم واستضافهم وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم فعلوا جهدهم.

الملحق الثاني: ﴿ الصدق ﴾ [96]

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**} (119) سورة التوبة، قال ﷺ (**لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**) ودرجته تالية لدرجة النبوة {**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**} (69) سورة النساء، والصادق اسم فاعل والصديق مبالغة أقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من أقواله والصديق من أفعاله وأقواله وأحواله فاصدق تكن مع الله "إن الله مع الصادقين" الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة فلو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه لم يطقه لسانه وهو النطق بالحق في مواطن الهلكة وهو موافقة السر النطق وهو منع الحرام من الشدق وهو الوفاء لله عز وجل بالعمل فمن داهن نفسه أو غيره فلا يشم رائحة الصدق وهو يحب الموت {**فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**} (94) سورة البقرة، وهو صحة التوحيد والقصد. سئل بعضهم ما أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم فقال له اسكت ما أجرأك فقال إلهي إن كنت صادقا فخذني فخر ميتا. كان بعضهم تعرض له لص فقال له كم عندك من الدراهم فقال له خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولها له فعدها فوجدها فردها عليه فقال له خذها فقد أخذني صدقك فنزل له اللص على الدابة فقال له اركبها فأنا لاحق بك فتبعه فتجرد حتى مات معه وهو صدقك في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب فالحلاوة والملاحة والهيبة كسوة الصادق. يا داوود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته فعامل الله بالصدق وهو سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه أول خيانة الصادقين حديثهم مع أنفسهم ليلة الصدق أفضل من

[96] الاراءة الجزء الأول طبعة درب غلف ص 262

الجهاد بالسيف وهو أن تكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكون (و علامته) ألا يبالي لو خرج من قلوب الخلق وألا يحب إطلاع الناس على سر عمله وألا يكره إطلاعهم على قبح عمله فمن لم يؤدي الفرض الدائم وهو الصدق فلا يقبل منه الفرض المؤقت فإن طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تنظر فيها جميع المخلوقات الدنيوية والأخروية فألزم الصدق من حيث تخاف أن يضرك ودع الكذب من حيث تظن أن ينفعك فإنه يضرك. (وعلامة) الكذب جوده باليمين بغير مستحلف. ما أملق تاجر صدوق.

الملحق الثالث: المراقبة [97]

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا} (52) سورة الأحزاب، "قال جبريل للنبي ﷺ يا محمد ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومرّه قال صدقت فقال ما الإسلام قال أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فقال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت". فإن لم تكن تراه مقام المراقبة وهي علم العبد باطلاع الرب عليه واستدامته مراقبة لربه وهي بعد الفراغ من المحاسبة فحاسب نفسك ولازم الحق وأحسن بينك وبين الله وراع القلب واحفظ مع الله الأنفاس وراقب الله في عموم الأحوال فهو رقيب ومن قلبك قريب يعلم أحوالك ويرى أفعالك ويسمع أقوالك فإن غفلت عزلت عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة فحكم بينك وبين الله التقوى والمراقبة تصل الكشف والمشاهدة. كان بعض الملوك يفضل بعض عبيده على غيره وهو أقلهم ثمنا فقيل له فيه فأراد إظهار قدره فأمر بالخيل وخرج الملك وجنده إلى محل فيه ثلج فوقف الملك ينظر فيه فأسرع ذا العبد لجلب الثلج بلا كلام فقال له الملك من أمرك به فقال يا سيدي رأيتك تنظره ونظر الملوك لا يكون بلا قصد فقال الملك إنما خصصت هذا بإقبالي وإكرامي لأن لكل واحد شغلا وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة أحوالي فافهم راقب الله في الخواطر يعصمك في جوارحك، فراع غنمك سياسة من راقبك، قال عبد الله بن عمر لراع أتبيع لي شاة فقال ليست لي فقال قل لربها أكلها الذيب قال أين الله قال لا يتفكرها إلا بعد حين قال أين الله، خص بعض الشيوخ تلامذه بصفاء الود فقيل له فيه فدفع لكل واحد طائرا فقال له اذبحه من حيث لا يراك أحد فذبح كل واحد ورجع المخصوص بطائره فقال لم يكن موضع لا يراني فيه أحد فقال لهم لذلك أقبلت عليه (و علامتها) إيثار ما آثره الله وتعظيم ما عظمه الله وتصغير ما صغره

[97] الاراءة الجزء الأول طبعة درب غلف

الله. الرجاء يحرك للطاعة، والخوف يبعد من المعصية، والمراقبة تؤديك إلى طرق الحقائق. وهي مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطوة. فألزم نفسك المراقبة واجعل العلم على ظهرك قائما، فراقب سرك بملاحظة الغيب في كل لحظة ولفظة أفضل الطاعة مراقبة الحق على الدوام وهي تورث خلوص السر والعلانية، فحاسب نفسك بالمراقبة وسسها بالعلم. فعظ قلبك ونفسك فلا تغتر باجتماعهم أي الناس عليك فهم يراقبون ظاهرك والله مراقب لباطنك. أفضل الطاعات حفظ الأوقات، ولا تطالع غير حدك ولا تراقب غير ربك